.

لِسانَ صِدْقٍ أم لِسانًا صادِقًا ؟

د. محمد سامي عبد السلام

كلية الآداب ، جامعة المنيا

* الكتاب: لسان صدق ام لسانا صادقا
* الكاتب: د.محمد سامي عبدالسلام
* مراجعة لغوية: قسم التحرير بالدار المنتدي
* تصميم الغلاف: شيماء أبو طالب
* إخراج داخلي: قسم التنسيق بالدار المنتدي
* رقم الإيداع: 2023/2503
* الترقيم الدولي: 978-977-6968-96-7

المدير العام: عزيز عثمان
لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com
واتس آب: 01005186476
صفحة الدار على موقع فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع

المقدمة :

نجد في القرآن الكريم تراكيب إضافية تفيد المعنى الوصفي، إذ يكون أحد طرفي الإضافة (المضاف أو المضاف إليه) صفة تقع على الطرف الآخر، وذلك مثل التركيب الإضافي " لسانَ صدقٍ " الذي يؤدى معنى التركيب الوصفي "لسانًا صادقًا"، فاللفظان المضاف والمضاف إليه هما ذاتهما الصفة والموصوف في التركيب الوصفي فهما ((كالاسم الواحد))[١].

والعلاقة بين المضاف والمضاف إليه في الأصل على وجه الاستحقاق والملكية ؛ فالمضاف مملوك للمضاف إليه حقيقة أو مجازاً ، مثل التراكيب الإضافية (مال اليتيمِ) (صوت النبيّ) (آذان الأنعام) ومن هنا يأتي العدول فهو عدول عن علاقة الشيء الواحد بين الصفة والموصوف إلى علاقة المتغايرين في التركيب الإضافي فيصبح (اللسان) ملكا للصدق في "لسان صدق " والسوء كجزء من " العذاب " في " سوء العذاب " .

وجعل الصفة شيئا آخر غير الموصوف ؛ له مثيل في التفكير البلاغي ، فهو يشبه فكرة التجريد ، يقول ابن الأثير متحدثاً عن التجريد : ((وأما الذي ذكره أبو على الفارسي – رحمه الله – فإنه قال: إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الإنسان كأنه غيره ، وهو هو بعينه ، نحو قولهم " لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ، ولئن سألته لتسألن منه البحر ، وهو عينه الأسد والبحر ، لا أنّ هناك شيئا منفصلاً عنه ، أو متميزاً منه))[٢] فتجريد المعنى يجعله منفصلاً عن صاحبه وخطابه كشيء آخر؛ قريب من تجريد الصفة (الصدق) وجعلها منفصلة عن صاحبها (اللسان) لذا صحّت إضافة الموصوف إلى الصفة على أنهما متغايران .

وقد جاء التركيب الإضافي الذي يفيد معنى التركيب الوصفي في القرآن الكريم على نوعين: النوع الأول: إضافة الصفة إلى الموصوف كما هو في تركيب "حقّ تقاته" الذي يقول عنه الألوسي: ((الإضافة من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، وأن الأصل: (اتقوا الله اتقاء حقا)))[٣] والنوع الثاني : إضافة الموصوف إلى الصفة مثل كما هو في تركيب "قدمَ صدقٍ" الذي يقول عنه الألوسي: ((وصرحوا –هنا– بأن الإضافة من إضافة الموصوف إلى الصفة ، والأصل " قدمًا صدقًا " أي: محققة مقرّرِة ، وفيه مبالغة لجعلها عين الصدق ، ثم جعل الصدق كأنه صاحبها))[٤].

وقد بلغ عدد الصفات التي تقع مضافاً أو مضافا إليه وموصوفها الطرف الآخر في التركيب الإضافي : تسع عشرة صفة ، جاءت كما يلى:

(أ) خمس عشرة صفةٍ مضافاً إليه ، وهى: الآخرة ، الجوع ، خير ، الذلّ ، سندس ، الصدق، الضّعف ، العزم ، العسرة ، الغربي ، القُدس ، القيمة ، نحس ، التقوى ، اليقين .

(ب) صفتان مضافاً في مواضع ومضافاً إليه في مواضع أخرى ، وهما: حقّ ، سوء.

(جـــ) صفتان مضافاً ، وهما : قصد ، يتامى.

فحقيقة العدول عن التركيب الوصفي إلى التركيب الإضافي أنه عدول عن تبعية الصفة للموصوف كأنهما شيء واحد ، إلى علاقة الملكية بين المضاف والمضاف إليه المتغايرين ، لوجود الداعي البلاغي لهذه العلاقة في السياق ، فمضمون السياق هو الذي يستدعي العدول عن التركيب الوصفي إلى التركيب الإضافي، ومن ذلك يظهر الغرض البلاغي المتحقق من تنوّع الأسلوب مراعاةً لمقتضى الحال.

اللهم عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

د. محمد سامي عبد السلام

Mohamed.SamY_1978@yahoo.com

الفصل الأول : دواعي إضافة الموصوف إلى الصفة

أ) العدول عن التركيب الوصفي لتحقّق وقوع الصفة الموعود بها :

الصفة والموصوف شيءٌ واحد ، وإضافة الموصوف إلى الصفة يجعل الصفة تتملّك الموصوف ، وهو ما استثمره السياق عند حديثه عن موصوفٍ يقع في الزمن المستقبل ، إذ يأتي بصيغة التركيب الوصفي (الأصل) عند الحديث عن الموصوف قبل وقوعه ، ويأتي بصيغة التركيب الإضافي بعد وقوع الموصوف وتحقّق الصفة في الموصوف ، فأصبحت الصفة متحققة مالكة للموصوف ، وهو ما نجده في هذه التراكيب الإضافية .

- الآخـرة :

الآخرة اسم لما بعد الموت ، وقد جاء لفظ " الآخرة " في القرآن الكريم في التركيب الإضافي " دار الآخرة " ، إذ يُفّسر بالتركيب الوصفي " الدار الآخرة " ، وكلا التركيبين جاءا في القرآن الكريم، فقد جاء التركيب الإضافي " دار الآخرة " مرتين ، وجاء التركيب الوصفي " الدار الآخرة " سبع مرات .

وقد ذكر الإسكافي مجيء (الدار الآخرة) في سورة الأنعام الآية (٣٢) وفى سورة الأعراف الآية (١٦٩) ، ودرس آية الأعراف مع متشابهتها " دار الآخرة " في سورة يوسف الآية (١٠٩) فعن قوله تعالى: ﴿ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٩) وقوله تعالى : ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف : ١٠٩) يقول

الإسكافي: ((قبله ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى﴾ (الأعراف: ١٦٩) فقوله (هذا الأدنى) إنما يعنى هذا المنزل الأدنى وهو والدار الدنيا بمعنى واحد، فلما جعل الأدنى وصفاً للمنزل ذكر الدار الآخرة بعده ، فجعل الدار موصوفة والآخرة صفة لها ، وكل يؤدى معنىً واحداً ، إلا أنه يخصّ ببعض اللفظ دون بعض لمشاكلة ما قبله وموافقته له، فأما قوله" ولدار الآخرة " في سورة يوسف ، فإنّ قبله ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ (يوسف ١٠٧) والساعة هي الساعة الآخرة وهي القيامة، فلمّا ذكرت الدار أضيفت إليها ، لكأنه قال : ولدار الساعة الآخرة خير ، فتقدم كل آية ما كان المذكور بعده أليق))[٥].

فالإسكافي يجعل مجيء التركيب الوصفي " الدار الآخرة " في سورة الأعراف مشاكلة لتركيب وصفى قبله "هذا الأدنى" ، ومجيء التركيب الإضافي " دار الآخرة " في سورة يوسف على تقدير: دار الساعة الآخرة ، مشاكلة لذكر الساعة قبله ، لكن قوله بالمشاكلة في كل موضع لا أراه يُقدِّم تفسيراً يعلل لاختلاف أسلوب كل آية عن الأخرى .

غير أن الإسكافي نفسه يلحظ وجود فرق بين سياق آية (الدار الآخرة) في سورة الأعراف، وسياق آية (دار الآخرة) في سورة يوسف ، وذلك بدراسته للفرق بين الفعل المضارع "يتّقون" في آية سورة الأعراف ، والفعل الماضي " اتقوا " في آية سورة يوسف ، فيذكر أن المضارع في سورة الأعراف ((ترهيب لليهود الذين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ... والترغيب والترهيب لا يتعلقان إلا بالآنف المستقبل))[٦]

أما الفعل الماضي في سورة يوسف فقد جاء لمراعاة ((الاعتبار بأحوال الأمم الذين أهلكوا في أزمنة أنبيائهم))[٧] ووافق الكرماني [٨] وابن جماعة [٩] رأيَ الإسكافي في دراسة " الدار

الآخرة " في سورة الأعراف ، و " دار الآخرة " في سورة يوسف .

وذهب إلى هذا الرأي ابن الزبير وأكده بالحديث عن الدار الآخرة في سورة الأنعام ، فيقول: ((جري النعت بلفظ الآخرة على الدار في الآيتين [في سورة الأنعام وسورة الأعراف] وجهُهُ مطابقة ما تقدم قبل كل واحدة من الآيتين ، أما في آية الأنعام : فقوله تعالى مخبرا عنهم " وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا " (الأنعام : ٢٩) فطابق هذا قوله تعالى " وللدارُ الآخرةُ خيرُ " ... ولما لم يتقدم مثل ذلك قبل آية يوسف ورد لفظ الدار مضافا))[١٠] فابن الزبير يلتفت إلى مطابقة التركيب الوصفي "الدار الآخرة" في سورة الأنعام لمثيله "حياتنا الدنيا" ، ويقصد بالمطابقة المشاكلة والموافقة – وإن كان بينهما طباق – لكنه يريد مجاراة كل تركيب بمثيله في الشكل، وكأن الغاية البلاغية أن يكون السياق على نسق واحد في الشكل ! دون أن نستوضح منه ما وراء هذه المشاكلة ولماذا اختلف الأسلوب من "الدار الآخرة" إلى "دار الآخرة" في سورتي يوسف والنحل، ولم يُقدّر ابن الزبير في" دار الآخرة " مضافاً إليه محذوفاً مثل تقدير الإسكافي "دار الساعة الآخرة" لذكر لفظ الساعة في سورة يوسف .

وبحثًا عن الفرق الدلالي بين "الدار الآخرة" و "دار الآخرة" ليناسب كل واحد منهما سياقًا بعينه لابد من دراسة مواضع كل تركيب منهما ، فيُلاحَظ من دراسة سياق المواضع السبعة التي جاء فيها التركيب الوصفي " الدار الآخرة " أنها تشترك في أمرين هما :

أ – الحوار مع مَن يقارن بين زينة الحياة الدنيا وثواب الدار الآخرة ويمكنه اختيار أحدهما.

ب – خطاب الحضور في الدنيا قبل حدوث زمن الآخرة.

فقد جاءت المواضع السبعة كما يلي :

١- ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (البقرة : ٩٤ – ٩٥) والآية تخاطب اليهود الذين يحرصون على الحياة الدنيا ويفضلونها على الآخرة، فجاء التركيب الوصفي (الدار الآخرة) في زمن الحضور بالنسبة لهم أثناء الحوار معهم في تفضيلهم الحياة الدنيا على الآخرة ، فالآية تخاطب من يعيش في الدنيا حريصاً عليها ومازالت الآخرة وصفاً يتحقق في المستقبل.

٢- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٢– ٣٣) .

وكما يربط الموضع الأول بين اليهود والمشركين في حرصهم على الحياة الدنيا ، فهي الحياة المادية الملموسة في مقابل الإيمان بالغيب بما في الدار الآخرة ؛ نجد في سورة الأنعام هذا الربط أيضاً فالسورة تصف تكذيب المشركين بالوحي وإن لمسوه في قرطاس ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام: ٧) والسورة نفسها تصف فعل اليهود بالوحي وقد لمسوه مكتوباً في قراطيس﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ (الأنعام : ٩١)

وتأتي الآية التي ورد فيها التركيب الوصفي (الدار الآخرة) موضحة ظلم المشركين بتمسكهم بالحياة القريبة الملموسة مع أنها لعب ولهو، وتكذيبهم بالخير الدائم في الدار الآخرة التي يترتب على الإيمان بها العمل لها، وهي موازنة تحتاج إلى العقل والإنصاف ، وجاء

التركيب الوصفي (الدار الآخرة) في خطاب الحضور في الدنيا لهؤلاء المكذبين الظالمين كما تدل عليه أفعال المضارعة (يتقون ، تعقلون ، يحزنك ، يكذبوك) فتلك الدار الغيبية موصوفة بالآخرة في تركيب (الدار الآخرة) لأن الآخرة في زمن هذا الحوار مع من يُفضّل الحياة الدنيا على ثواب الآخرة لم تأتِ بعدُ ، فالحديث عنها وهي في المستقبل.

٣- ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مُّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٦٩). ومن الجميل في هذا الموضع وصف أصحاب كفتي المقارنة بين عرض الدنيا والدار الآخرة، بما يصف طالبي عرض هذا الأدنى (ويلاحظ تحقيره) بالتحايل واسترضاء نفوسهم استمراءً للحرام (سيُغفرُ لنا) فهم يعلمون حرمته لكنهم يحتجون بالمغفرة لهم مع إصرارهم (وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مُّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) وكأنهم أحلوا الحرام فلا توبة حقيقية تمنع من تكرار ذنوبهم ، أما من يريد الآخرة فهو شديد الحرص على ما جاء في الوحي ولذا تصفه الآيات بصيغة (فعّل) في (يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) الدالة على التتابع والمداومة لعلها بين الأجيال المتلاحقة أو فيما بينهم تذكيرا وحرصاً، وهم في ذلك أيضًا متقون مصلحون ، فهناك عددٌ من الصفات لكل فئة تدل على حرص أهل الدنيا على الدنيا ، وحرص أهل الآخرة على الآخرة .

وفي أثناء التصوير لكل فئة تأتي دعوة من فرّطوا في الآخرة لإعادة حساباتهم بالعقل (أفلا تعقلون) وكأن العقل يوجب أن يعمل الإنسان لما هو بعيد غيبي ! والحقيقة أن فطرة الإنسان العجولة تميل للقريب الملموس (عصفور في اليد خير من عَشرة على الشجرة) لكن العقل يرجح البعيد الغيبي إذا كان مضموناً على القريب الملموس الفاني، فالعَشرة إن كانت

مقيّدة أفضل من واحد ميت في حكم العدم/ الصفر، فالموازنة تحتاج لتجرُّد من الهوى لتستقيم الحسابات.

وسياق الآية يتحدث عن فئة من اليهود ، يقول ابن كثير في تفسيره للآية: ((وقد ورثوا دراسة الكتاب وهو التوراة))[١١] وحكمها لكل من شابههم في التحايل والإعراض عن الآخرة ، فالآية تحاور من يعرض عن الآخرة في زمن حياته الدنيا.

٤- ﴿ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ (القصص : ٧٧)

٥- ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص : ٨٣)

وهذان الموضعان في سياق قصة قارون وهو من قوم موسى عليه السلام رسول بني إسرائيل، وحكاية القصة في زمن الحضور في الدنيا ، فجاءت بخطاب الحضور (ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ) والقصة صورة واضحة في وصف مَن يقارِن زينة الحياة الدنيا بالإيمان بثواب الله في الآخرة، فقارون كان باغيًا ومعتدًا بملكه، ينسب الفضل لنفسه، وأغرى ملكُه من يريد الحياة الدنيا بصحة ما عليه قارون من بغي وعتو، ويصور الحوار بين من يريد الدنيا ومن يريد ثواب الآخرة ثبات كل فئة على ما تريد في تكافؤ بين الرغبتين ((فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ)) (القصص:٧٩-٨٠) وجاء تصوير الصراع بين الرغبتين في زمن تواجده في الدنيا ، والدار الآخرة في زمن المستقبل تتحقق فيما بعد ، وهو ما يميّز سياق التركيب الوصفي (الدار الآخرة) عن التركيب الإضافي (دار الآخرة) في جميع المواضع.

٦- ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ

لوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤)

ويأتي هذا الموضع في سورة العنكبوت في حوارٍ مع من يغترُ بمتع الحياة الدنيا ويستبعد الحياة الآخرة ، فهي تخاطب من كان إيمانه وهناً كبيت العنكبوت فيتخذ من دون الله أولياء، يعتقد فيهم نصرتهم له مع كفره بنعم الله تعالى وجحده حق العبودية الخالصة لله تعالى، فالآيات تسألهم ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)) (العنكبوت:٦٣) فمع أنهم يؤمنون بقدرة الله تعالى في إحياء هذا المشهد الملموس على الأرض إلا أن إيمانهم بإحياء الله تعالى للأرض في الآخرة إيمان ناقص لا يصدقه عملهم، لذا تقارن الآيات بعدها مباشرة بين الحياة الدنيا والدار الآخرة ((وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)) (العنكبوت:٦٤) وتصف الآخرة بأنها الحياة الدائمة الحقيقية فهي الحيوان وما قبلها فانية، لكن هؤلاء المشركين مثلهم كمثل فرعون وقارون (اللذين ذكرتهما السورة ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ (العنكبوت :٣٩)) لا يؤمنون بالغيب البعيد الدائم ، فحقيقة إيمانهم أنه لا يتعدى الظاهر المحيط بهم ((فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ *لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ)) (العنكبوت: ٦٥-٦٧) فالآيات في سورة العنكبوت تفصل بدقة حقيقة إيمان هذا الصنف من الناس، إنه إيمان بالحياة الدنيا وإن اعترف بالله تعالى وبالآخرة، فهو اعتراف لا يستوجب العمل والإخلاص لله تعالى والاعتقاد بملكه وتصرفه في هذا اليوم الآخر ، مثل من قال ((وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدنّ خير منها منقلبا)) فهم كما قالت عنهم سورة العنكبوت ((بالباطل يؤمنون وبنعمة

الله يجحدون)) فهم يؤمنون بالحياة الدنيا ويكفرون بحقيقة الآخرة وما يطلبه الإيمان بها، ولأن الحوار معهم في زمن الحضور في الدنيا جاء التركيب الوصفي (الدار الآخرة) لأنه حوار عن زمنٍ مستقبل لم يقع بعد ، فمازالت الدار في زمن الحوار موصوفة بالآخرة وليست ملكًا له بمجيء زمن الآخرة ، بينما يأتي التركيب الإضافي (دار الآخرة) عندما يكون الحوار بعد انتهاء الحياة الدنيا.

٧- ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٢٦ - ٢٩)

وسياق هذا الموضع يتحدث عن يهود بني قريظة الذين زال ملك دنياهم (ديار، أموال، أرض، أمن) وآل هذا الملك للمسلمين (أورثكم) لكن الآية تحذر كل المسلمين ابتداءً من بيت النبوة بعدم تفضيل متع الحياة الدنيا على ثواب الآخرة ، فلا بدّ من ملاحظة الرابط بين الآيات في هذا السياق الذي يتحدث عن مُلك زائل ويحذر من الاغترار به ، وفي هذا الحوار مع مَن تُعرض له المقارنة بين زينة الدنيا وثواب الآخرة جاء التركيب " الدار الآخرة " في زمن الحضور في الدنيا قبل الآخرة .

أما التركيب الإضافي فقد جاء في موضعين هما :

١- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ (يوسف : ١٠٩)

وهي بعد الانتهاء من قصة يوسف عليه السلام التي أثاب الله تعالى فيها من فضل ثواب الآخرة على متع الدنيا ((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)) (يوسف:٣٣) وجاء التركيب الإضافي (دار الآخرة) مع دلالة السياق على الزمن الماضي ، بخلوه من خطاب الحضور ، فالآية تتحدّث عن الأقوام الخالية الذين انتهت حياتهم الدنيا ، فالحديث عنهم في الآية وهم في الآخرة ، ليدل بالتركيب الإضافي (دار الآخرة) على أن الصفة (الآخرة) لم تعد وصفاً تابعاً للموصوف ، وإنما أحاطت الصفة (الآخرة) بالموصوف لحدوث زمن الصفة بالنسبة للأقوام الخالية الذين تتحدث عنهم الآية، ولذلك جاء الفعل الماضي " اتقوا " قرينة لمضي زمن الدنيا بدلاً من المضارع "يتقون" في مواضع التركيب الوصفي (الدار الآخرة) وهى ملاحظة الإسكافي .

٢- ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ (النحل: ٢٨ – ٣٠)

فسياق الآية يوضح أن زمن الحياة الدنيا انتهى، وأن (دار الآخرة) أصبحت في زمن الآخرة ، فقد جاء التركيب الإضافي على لسان المؤمنين في الآخرة ، في زمن الحضور فيها لا في الدنيا ؛ ولذلك نجد الفعل الماضي "اتقوا" و "أحسنوا" .

وبهذا يمكن معرفة الفرق في القرآن الكريم بين التركيب الوصفي "الدار الآخرة" والتركيب الإضافي "دار الآخرة" ، فالتركيب الوصفي " الدار الآخرة " يأتي في حوار المقارنة بين متع الدنيا وثواب الآخرة وإمكانية اختيار أحدهما، وذلك في زمن الحياة الدنيا الذي تكون

فيه الآخرة وصفاً في المستقبل للحياة بعد الموت ، أما التركيب الإضافي "دار الآخرة" فيأتي عندما يكون الحديث بعد انتهاء زمن الاختيار بانتهاء الحياة الدنيا، وهذا الفرق في الاستعمال بين التركيبين "الدار الآخرة" و"دار الآخرة" فرق بلاغي في استعمال التراكيب ؛ لأن الأصل هو وصف الدار بالآخرة من خلال التركيب الوصفي "الدار الآخرة" لكن يأتي العدول إلى التركيب الإضافي "دار الآخرة" لتوصيل دلالة التركيب الدالة على تملّك المضاف (الآخرة) للمضاف إليه (الدار) بتحقق زمن الآخرة ، فلم تعد الآخرة مجرد وصف للدار في المستقبل ، ولكنها الزمن الحالي في السياق .

- حـــــقّ : (وعد الحق / الوعد الحق)

وقد جاءت الصفة " حقّ " مضافاً إليها موصوفها (دين ، دعوة ، وعد ، قول) ويدخل في هذا المبحث تركيب " وعد الحقّ " (أما بقية التراكيب فيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى) فقد جاء التركيب الإضافي " وعد الحق " بعد الوعد وانتهاء الحياة الدنيا ، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشّيْطَانُ لَمّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ووَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٢٢)

فالتركيب الإضافي " وعد الحق " يؤدي معنى التركيب الوصفي " الوعد الحق " إلا أنّه جاء في صورة الإضافة لإفادة معنى تحقيق الصفة وتملّكها للموصوف ، وذلك لأن السياق يبيّن وقوع الوعد في الآخرة ، وانتهاء زمن الوعد في الحياة الدنيا كما يقول تعالى " لما قضي الأمر " فبتحقق الوعد أصبح (الموصوف) ملكا للصفة الحق ، وهو داعي العدول .

وجاء التركيب الوصفي " الوعد الحق " على صورته الأصلية في قوله تعالى ﴿ حَتّى

إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنبياء: ٩٦ ، ٩٧) فالحديث هنا عن اقتراب الوعد الحق بظهور علامة من علاماته الكبرى في المستقبل كما يدل عليه الظرف (إذا) ولا يفيد الانتهاء من وقوعه ، وكذلك جاءت تراكيب " وعد الله حقا ، وعد الله حق ، وعد ربي حقا " في (النساء : ١٢٢ ، يونس : ٤ ، الكهف : ٩٨ ، ٢١ ، فاطر : ٥ ، غافر : ٥٥ ، ٧٧ ، الجاثية : ٣٢ ، الأحقاف : ١٧)

فجميعها تتحّدث عن البعث أو الساعة قبل وقوعهما ، فإضافة الوعد للفظ الجلالة (وليس للصفة) وتأخر لفظ " حق " صفة أو خبرا مراعاة لوقوع وعد الله فيما بعد في المستقبل.

وجاء التركيب الوصفي في قوله تعالى " الملكُ يومئذٍ الحقّ للرحمن " (الفرقان : ٢٦) لأن ملك الله لا يختصّ بصفة (الحق) تحقّقًا أو حفظًا أو شمولاً في الآخرة فقط ، فهو مُلك على السواء في الدارين ، متحقق ومحفوظ أزلاً ، وليس كالوعد الذي يقع في الآخرة ، أو الدار التي يحصل نعيمها لأهلها في الزمن الآخر، فجاء الوصف "الملك يومئذ الحق" لأنه في زمن الآخرة يظهر أنه ملك كل شيء دون استخلاف أو ادعاء من أحد بالملك ، فظهرت صفة الحق للملك، ولم تأتِ الإضافة لعدم حدوث الملك في الزمن الآخر بتحققه ، فلا يوجد داعي التحقق أو الحفظ والشمول وهو مالك الملك في الدنيا والآخرة .

- صـــــــدق : (وعد الصدق)

جاءت الصفةُ " صدق " مضافا إليها موصوفها في تراكيب (قدم صدق ، مبوّأ صدق ، مدخل صدق ، مخرج صدق ، لسان صدق ، وعد الصدق ، مقعد صدق) ويدخل في هذا المبحث تركيب "وعد الصدق" أما بقيّة التراكيب فسيأتي إن شاء الله تعالى.

فقد أضيف إلى الوصف " الصدق " موصوفه " وعد " في التركيب الإضافي " وعد الصدق " في سياق يجمع بين التركيب الإضافي " وعد الصدق " والتركيب غير الإضافي " وعد اللهِ حق " مما يظهر الفرق بينهما يقول تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ * وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الأحقاف ١٥ – ١٧).

فالتركيب الإضافي "وعد الصدق" جاء في حديث الله تعالى في الزمن الآخرة عن تقبل العمل وإجابة الدعاء وتحقق الجزاء لمن كانوا في الدنيا أهل صلاح وتصديق لوعد الله ، بينما يأتي تركيب " وعد الله حق " لمخاطبة المكذب بالوعد وهو في زمن الحياة الدنيا، فهو إخبار على لسان والديه بأن الوعد حق.

فالتركيب الإضافي (وعد الصدق) جاء عندما تحقق الوعد في الآخرة، كما يوضحه سياق الآية : ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ فأصبح الوعد ملكًا للصفة لتحقيق الصفة فيه ، فجاءت الإضافة لدلالتها على الملكية ، وفي المقابل جاء في السياق نفسه (وعد الله حق) من غير إضافة للوعد لأنه في زمن الحياة الدنيا فما زال في محل إقناع للمخاطب به ولم يتحقق.

ويلاحظ أنّ العدول إلى الإضافة لداعي تحقّق الوعد جاء مرّة في الجنة في تركيب "وعد الصدق" ومرّة في النار في تركيب "وعد الحق" وهو تكامل في المعنى بالجمع بين الموضعين، كما يلاحظ أن نسبة الوعد للحق عندما تصرّح الآيات باختصاص هذا الوعد من

الله تعالى، وتأتي نسبة الوعد للصدق عندما يشير السياق إلى تربية الوالدين للأبناء على تصديق وعد الله تعالى، فهو وعد من الوالدين أيضاً لتصديق وعد الله تعالى.

ب) العدول عن التركيب الوصفي لإحاطة الصفة بالموصوف (بما يفيد تمكّن الصفة من الموصوف أو مجيء الموصوف منها أو تبعيته لها أو دلالتهُ عليها) :

الأصل أنّ الصفة تابعة للموصوف ، توضّح شيئًا في الموصوف ، لكن السياق يعمد إلى العدول إلى إضافة الموصوف إلى الصفة ، ليدّل على إحاطة الصفة بالموصوف فالصفة تتملّك الموصوف وليست تابعة له ، وهو ما استثمره السياق ليفيد شِدّة أثر المعنى الوصفي في الموصوف ، أو يدلّ على أن الموصوف نابع من الصفة الدالة على العقيدة ، أو ليجعل الموصوف جزءًا من الصفة ، أو موصّلاً ودالاً على هذه الصفة .

ففي كلٍّ يريد السياق إظهار إحاطة الصفة للموصوف بما يقتضيه المعنى المراد ، وهو ما نجده في التراكيب الآتية :

- الجـــــــوع:

ومن التراكيب الإضافية التي يفيد معناها وقوع المضاف إليه صفة للمضاف الموصوف، تركيب " لباس الجوع " وذلك في قوله تعالى :

﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (النحل : ١١٢).

وقد جاء المعنى الوصفي هنا من أن المراد إذاقة القرية الكافرة العذاب ظاهراً وباطناً

بلباس مصنوع من الجوع والذل والإهانة ، فمعناه : لباس ذليل مهين ، أو ملابسة سيئة مهينة، فاللباس والملابسة فيهما أثر الجوع (الذل والإهانة) فتقع على لفظ المضاف (لباس) صفة المضاف إليه (الجوع) فهما شيء واحد ، مثل تركيب " ثياب سندس " ، فالمعنى الوصفي في "لباس جوع " على وجود نوع من اللباس مصنوع من الجوع .

والحديث – هنا– ليس عن استعارة لفظ " لباس " وإنما عن نسبة اللباس إلى المعنى الوصفي "الجوع" واشتمال صفة الجوع للموصوف "اللباس" وذلك بتنزيل "لباس الجوع" منزلة " لباس سندس".

إلا أن الفائدة البلاغية من إضافة (لباس) إلى المادة المصنوع منها والموصوف بها (الجوع) هي ذاتها الفائدة البلاغية من استعارة لفظ المضاف ، إذ أنها فائدة بلاغية مأخوذة من معنى الإضافة فاللفظ المستعار (لباس) عن طريق الإضافة أصبح ملكاً للمضاف إليه (الجوع) وجزءاً منه ، وهو ما أكدّ الاستعارة ، وكأن اللباس موضوع أصلاً للجوع ، فاللباس جزء من الجوع بما تقتضيه العلاقة بين المضاف والمضاف إليه .

وهذا هو ملمح تأكيد الوصف عن طريق الإضافة فالموصوف يصبح جزءاً من الصفة مملوكاً لها عن طريق الإضافة ، فيتأكد الوصف عن طريق الإضافة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تفيد الإضافة إلى الصفة قوة الصفة في الموصوف ، وإحاطتها بالموصوف ، وهو داعي العدول عن التركيب الوصفي إلى التركيب الإضافي ، ففكرة تملك المضاف إليه (المستعار له) للمضاف (المستعار) هى فكرة تملّك المضاف إليه (الصفة) للمضاف (الموصوف) وهما يجتمعان في التركيب الإضافي الذي جاء فيه المضاف إليه صفة ومستعاراً له .

وقد لمس فكرة العلاقة بين المستعار المضاف والمستعار له المضاف إليه عبد القاهر الجرجاني وابن الأثير، يقول عبد القاهر الجرجاني: ((واعلم أن في الاستعارة مالا يُتصوّر النقل فيه البتة ، وذلك مثل قول لبيد :

وَغَداةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقَرّةٍ   إذْ أصْبَحَتْ بِيَدِ الشّمالِ زِمامُها

لا خلاف في أن " اليد " استعارة ، ثم إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ " اليد " قد نقل عن شيء إلى شيء وذلك أنه ليس المعنى على أنه شّبه شيئا باليد ، فيمكن أن تزعم أنه نقل لفظ " اليد " إليه ، وإنما المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال في تصريفها " الغداة " على طبيعتها ، شبه الإنسان قد أخذ الشيء بيدهُ يقلّبه ويُصرّفه كيف يريد . فلما أثبت لها مثل فعل الإنسان باليد ، استعار لها " اليد " وكما لا يمكنك تقدير النقل في لفظ " اليد " كذلك لا يمكنك أن تجعل الاستعارة فيه من صفة اللفظ ، ألا ترى أنه محال أن تقول: إنه استعار لفظ اليد للشمال ؟ وكذلك سبيل نظائره مما تجدهم قد أثبتوا فيه للشيء عضواً من أعضاء الإنسان ، من أجل إثباتهم له المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الإنسان))[١٢] فعبد القاهر الجرجاني يبيّن أن الاستعارة – هنا – ليست في اللفظ فقط ، وإنما نقلت معها العلاقة بين اليد والإنسان، وهى علاقة الإضافة في تركيب " يد الإنسان " ، فاستعارة عضو من أعضاء الإنسان تنقل معها استعارتين: ١- استعارة لفظ العضو ٢- استعارة النسبة (الإضافة) إلى الإنسان.

وليس الغرض – هنا – تشبيه شيء باليد ، وإنما إفادة علاقة الملكية (التصرف) للشمال ، ويقول عبد القاهر – أيضا – شارحاً معنى الاستعارة في البيت: ((كقولك: إذ أصبحت الشمال ولها في قوة تأثيرها في الغداة شبه المالك تصريف الشيء بيده ... فأنت كما ترى تجد الشبه المنتزع هاهنا إذا رجعت إلى الحقيقة ، ووضعت الاسم المستعار في موضعه

الأصلي ، لا يلقاك من المستعار نفسه، بل مما يضاف إليه))[١٣] فعبد القاهر يوضح أثر المضاف إليه في المضاف إذا كانت علاقة الإضافة بينهما علاقة العضو بالإنسان ، وعلاقة العضو بالإنسان هي الملكية .

وكما أن استعارة لفظ المضاف غرضه استعارة علاقة ملكية المضاف إليه ، فإن إضافة الموصوف إلى الصفة أكسب الصفة (المضاف إليه) علاقة تملكها للموصوف (المضاف).

أما ابن الأثير فيلتفتُ إلى أنّ الإضافة تربط بين المستعار والمستعار له فلابد أن يكون المستعار مقبولاً للمستعار له ، وإلا أظهرت الإضافة (لإفادتها علاقة الملكية والقرب بين الطرفين) نبوّ هذه الاستعارة ، يقول ابن الأثير: ((ضربا التوسع : وهو ضربان : أحدهما يرد على وجهة الإضافة ، واستعماله قبيح ، لبعد ما بين المضاف والمضاف إليه ، وذلك لأنه يلتحق بالتشبيه المضمر الأداة ، وإذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين المشبه والمشبه به كان ذلك قبيحاً ... كقول أبى فراس : بُحّ صوت المال ...))[١٤] وإن كان حديث ابن الأثير عن التناسب بين المستعار والمستعار له إلا أنه يربط بين التناسب، والإضافة ، فتقبح الاستعارة في التركيب الإضافي بين المتباعدين ، وتحسن الاستعارة بين المتقاربين كما ذكر ذلك عند حديثه عن تركيب " جناح الذل " وهو ما سيأتي إن شاء الله تعالى ، وفكرة تملّك المستعار له للمستعار والقرب بينهما عن طريق الإضافة هي داعي عدول التركيب الإضافي عن التركيب الوصفي .

فوصفت الآية الكريمة اللباس في تركيب " لباس الجوع " بما يقع عليه من معنى الجوع عن طريق الإضافة ، لما بينهما من تناسب يقبل علاقة الإضافة ، يقول عز الدين بن

عبد السلام:((شبّه ما ظهر عليهم من أثر الجوع والخوف باللباس الظاهر على الأجساد وقيل المراد باللباس ههنا ملابسة الجوع والخوف ، ولو قال : فأجاعها الله وخوفها لم يكن فيه معنى الإذاقة ولا معنى ظهور آثارهما عليهم))[١٥] فاللباس ما يظهر على الجسد ويحيط به من خارجه ، وقد أحالته الإضافة إلى نوع خاص من اللباس ، ليس ككل لباس ، فهو لباس جزء من الجوع ، وربما كان التعبير عنه بالإذاقة في قوله تعالى " فأذاقها " بدلاً من الإلباس (ألبسها) دالاً على كون الجوع متملكاً لهذا اللباس ، ومانحاً له صفات خاصة لا تتوافر في أى لباس آخر ، فهو لباس محيط بصاحبه من الخارج بما غشيهم من آثار الجوع ، ومحيط من الداخل بما يتركه من أثر الإحساس بالجوع وتذوّقه .

فالتركيب الإضافي أكد العلاقة بين اللباس والجوع عن طريق الإضافة التي تجعل المضاف جزءاً مملوكاً ومحاطاً من المضاف إليه ، وذلك ما يستدعيه عذاب الله تعالى لقرية كفرت بعد الإنعام عليها ، فالعذاب بإحاطة الجوع بها وتملكه لها في مقابل كفرهم بالأمن والاطمئنان والرزق الرغد من كل مكان .

ونجد لفظ " الجوع " يسبقه حرف التبعيض " من " في مقام الابتلاء للمؤمنين ، في قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة : ١٥٥) وذلك يُظهر أن لباس العذاب في " لباس الجوع " ليس شيئا من الجوع انفصل عنه ، فهو لباس الجوع المملوك للجوع والمحاط به .

ولم يأت لفظ " الجوع " في تركيب إضافي أو لفظ استعاري إلا في هذا الموضع ﴿ لباس الجوع والخوف ﴾ (النحل : ١١٢)

وجاء لفظ اللباس مستعاراً في خمسة مواضع ، منها ثلاثة بغير إضافة ، يقول تعالى :

١- ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة : ١٨٧)

٢- ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً ﴾ (الفرقان : ٤٧)

٣- ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾ (النبأ : ١٠)

فلم يأت : لباس الرفث أو لباس الليل أو لباس السكن لأن الجماع والليل محددان بوقت، ولا يراد فيهما الاستمرار والثبوت .

وجاء لفظ لباس مضافاً مرتين فقط :

١- ﴿ لباس الجوع والخوف﴾ (النحل : ١١٢)

٢- ﴿ ولباس التقوى ﴾ (الأعراف : ٢٦)

وهو تقابل وتكامل في المعنى عن طريق أسلوب الإضافة للفظ (لباس) في القرآن الكريم، فالأمر من الله للإنسان بـــ (لباس التقوى) ليجعل التقوى في كل مكان وزمان ، وأن تشمل ظاهره وباطنه ، فإن كفر بنعمة الله كان العقاب بـــ (لباس الجوع والخوف) أي شاملاً ومحيطاً بالقرية الكافرة ، فالأمر (التقوى) والعقاب (الجوع) كلاهما يتطلب الإحاطة والشمول للموصوف "اللباس" ، وهو مأخوذ من علاقة الإضافة في التركيب الإضافي، فمجيء لفظ "لباس" المستعار مضافاً للجوع أو التقوى لاستعارة علاقة الملكية والإحاطة التي بين المضاف والمضاف إليه ، لتكون هذه العلاقة بين اللباس والجوع أو بين اللباس والتقوى .

- الـــــذّلّ :

جاء لفظ الذّلّ وصفا مضافا إليه في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء : ٢٤) وقد جاء لفظ الذّلّ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ

وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾ (الإسراء: ١١١) وقوله تعالى: ﴿ خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ (الشورى: ٤٥) وحرف الجر " مِن " في الآيتين السابقتين بمعنى التعليل والجار والمجرور في موقع المفعول لأجله ، ليكون المعنى في الآية الأولى كما يفسره الزمخشري ((لم يوالِ أحداً من أجل مذّلة به ليدفعها بموالاته))[١٦] ومعنى الآية الثانية أن الظالمين يعرضون على النار ((متضائلين متقاصرين ممّا يلحقهم من الذّلّ))[١٧] أي إذلالا لهم .

ووجود حرف الجر " من " ليبيّن أن الذّلّ واقع من جهة أعلى من المذلول ، وجاء المشتق من لفظ الذّلّ في قوله تعالى ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ ﴾ (البقرة : ٧١) ﴿ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ (الملك : ١٥) يقول الزمخشري عن معنى "لا ذلول" : ((صفة لبقرة ، بمعنى بقرة غير ذلول ، يعني لم تذلل للكراب وإثارة الأرض))[١٨] وتذليل البهائم أو تذليل الأرض في حقيقته تسخيرها للناس .

وقد جاء لفظ " الذّلّ " في صيغة التركيب الإضافي " جناح الذلّ " ، فلم يرد الذّلّ مسبوقا بحرف الجر ، فيقول " جناحك من الذّلّ " ، كما لم يرد في التركيب الوصفي (الصورة الأصلية للوصف) فيقول: "جناحا ذليلا أو ذلولا ".

وقد ارتبط لفظ "جناح" في القرآن الكريم بدلالات محمودة إذ جاء لفظ " جناح " للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، مرتين :

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر : ٨٨)

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء : ٢١٥)

وجاء لفظ جناح لموسى عليه السلام مرتين أيضا :

﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ (طه : ٢٢)

﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ (القصص : ٣٢)

وعندما جاء لفظ " جناح " للطير أي بمعناه اللغوي الحقيقي جاء بتشبيه الطير بالناس يقول تعالى : ﴿ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (الأنعام : ٣٨).

وجاء لفظ (جناح) للملائكة يقول تعالى : ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء ﴾ (فاطر : ١) فلفظ " جناح " في القرآن الكريم جاء مع دلالات :

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم رحيم بالمؤمنين .

الرسول موسى عليه السلام يستأنس نورا لأهله .

الطير التي تحلق في جو السماء .

الملائكة عندما تُبعث عناية من الله تعالى بشئون الخلق .

وكل هذه الدلالات ارتبطت بالتركيب الإضافي " جناح الذل " من جهتين :

الجهة الأولى: تركيب " جناح الذل " جاء في سورة الإسراء ، والإسراء كان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس أي للأرض المقدسة التي أمر موسى عليه السلام بني إسرائيل بدخولها، والإسراء تحليق في السماء كالطير والملائكة. والجهة الأخرى: تركيب "جناح الذل" في شأن الأمر ببر الوالدين ، ولفظ " جناح " جاء في رحمة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بأمته ، ورعاية موسى عليه السلام لأهله .

فلفظ "جناح" يحمل دلالات الرحمة والسمو في القرآن الكريم ، وقد استثمر التركيب الإضافي " جناح الذّلّ " هذه الدلالات الحميدة للمضاف إليه (الذل) إذ يكون الذل دالا على ضعف الوالدين في كبرهما ،فيكون الأمر بأن يُملّك المؤمن هذه الدلالات الحميدة التي تكون في

قدرته (جناحه) للذّلّ أي لضعف والديه .

فالإضافة تناسب عدم وصف الجناح الدال على هذه المعاني بالذل ، فضلا عن مناسبة الإضافة لمعنى إخضاع هذه المعاني لضعف الوالدين .

فهو عدول عن التركيب الوصفي الذي يدل عليه معنى تركيب " جناح الذل " كما يقول الزمشخري: ((فيه وجهان: أحدهما : أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك ، كما قال ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (الحجر: ٨٨) فأضافه إلى الذُّلّ أو الذِّلّ ، كما أضيف حاتم إلى الجود ، على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول. والثاني أن تجعل لذُلّه أو لذِلّه لهما جناحًا خفيضًا))[١٩] والإضافة تُظهر العلاقة بين المستعار والمستعار له من العلاقة بين المضاف والمضاف إليه ، فيقول ابن الأثير عن تركيب " جناح الذل: ((فإن الجناح للذّلّ مناسبٌ ، وذلك أن الطائر إذا وهن أو تعب بسط جناحه وخفضه ، وألقى نفسه على الأرض ، وللإنسان – أيضا– جناح ، فإن يديه جناحاه ، وإذا خضع واستكان طأطأ من رأسه ، وخفض من يديه، فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل ، وصار تشبيها مناسبا))[٢٠] فلفظ جناح مع دلالته على القوة والقدرة على الحركة مناسب للفظ الذل مع دلالته على الضعف ، وذلك راجع إلى تواجدهما معا عند الطائر ، إذ يجمع بين قوة الجناح عند التحليق وبين خفضه عند النزول وضمه لصغاره ، والقوة والضعف موجودان معا في الإنسان شباباً وهرماً وهو موضع حديث السياق .

وهذا التناسب بين لفظ جناح ولفظ الذل أظهره التركيب الإضافي من طريق علاقة المضاف – كجزء – بالمضاف إليه ككل مالك للمضاف .

فالتركيب الإضافي يدل على أن القوة البشرية يجب أن تُملّك للعبادة ، وأن قوة شباب

الأبناء يجب أن تسخر لضعف كبر الوالدين ، دون أن يكون الذل من جهة أعلى يحمل معنى الإيلام والإيذاء مثل ﴿ لم يكن له ولي من الذل ﴾ (الإسراء : ١١١) أو ﴿خاشعين من الذل﴾ (الشورى : ٤٥) فالتركيب الإضافي أنسب في مقام بر الوالدين أنسب من (جناحا من الذل أو جناحك من الذل) إذ أن الذل في مقام بر الوالدين رحمة يخضع بها الأبناء قوتهم طواعية منهم ، وهي رحمة متداخلة بين الإنسان وأصل وجوده (والديه) .

والتركيب الإضافي أنسب من " جناحا ذليلا " إذ ليس المراد وقوع صفة الذل على الجناح بإذلالها (امتهانا) ، وإنما يراد التغاير بين الموصوف " جناح " والصفة " الذل " عن طريق الإضافة لتظل القوة الحميدة خاضعة لتصرّف " الذل " المغاير لها . فالإضافة تكون بين المتغايرين ، والتركيب الوصفي يقوم على أن الصفة والموصوف كالشيء الواحد .

فالتركيب الإضافي جعل الجناح محتفظا بخصائصه (القوة والتسامي) لأنه مغاير للمضاف إليه الذل ، وفي الوقت نفسه ملك للذل يحاط به ، أي مسخر للذل ، فهي الصيغة التي تحمل دلالة إخضاع الإنسان لقواه الخيرية لضعف والديه .

- سندس :

جاء لفظ " سندس " ثلاث مرات ، مجرورا بحرف الجر مرتين ، ومضافا إليه مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (الكهف: ٣١)

٢- ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (الدخان: ٥٣)

٣- ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ (الإنسان : ٢١)

من معاني حرف الجر "من " ((بيان الجنس))[٢١] وهو معنى التركيب الوصفي " ثياب سندسية " إلا أن الاستخدام البلاغي يجعل لحرف الجر " من " إفادة معنى التصنيع ، لذا قال تعالى : ﴿ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ (الحج : ١٩) لأن الثياب لا تكون نارا إلا إذا مرت بمراحل إعداد وتصنيع تطوع الجمع بين الثياب والنار، وكذلك قوله تعالى ﴿ مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ (الحج:٢١) لأن ((المقامع : السياط))[٢٢] فلكي تكون المقامع من حديد لابد من عملية تصنيع تغير في أصلها المعروف لنا .

ويشير السيوطي إلى عملية التصنيع عند حديثه عن قوله تعالى ﴿ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ (الإنسان:١٦) بقوله: ((يعني تلك الأواني ليست من الزجاج ولا من الفضة، بل في صفاء القارورة، وبياض الفضة))[٢٣] فالمعدن لابد له من التصنيع ليكون في مقام الزجاج ، لذلك جاء قولـــه ﴿مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ في سورتي الكهف والدخان لأنه – كما يقول الزمخشري ((جمع بين السندس وهو ما رقّ من الديباج ، وبين الاستبرق وهو غليظ منه ، جمعا بين النوعين))[٢٤] فهي تصنع من نوعين .

أما التركيب الإضافي " ثياب سندس " الذي جاء في سورة الإنسان ، فيفيد أن هذه الثياب سندس بلا تصنيع ، وهو ما لا يفيده التركيب الوصفي " ثياب سندسية " إذ لا يعرف من التركيب الوصفي إذا ما كانت الثياب مصنوعة من الصفة مثل " ثياب من سندس " أم أنها ثياب لم تصنع من سندس ، فهي سندس على هيئة ثياب ، إذ أن التركيب الوصفي " ثياب سندسية " يكسب الثياب هذا الوصف " سندسية " دون التركيز على معنى التصنيع أو تأكيد الوصف .

وجعل الثياب سندس بلا تصنيع في التركيب الإضافي " ثياب سندس " راجع إلى أن المضاف جزء من المضاف إليه ، وهو الفرق الدلالي الذي ذكره د . محمد حماسه عبد اللطيف عند حديثه عن الفرق بين "سنابلاً ذَهَبْ" بلا إضافة وبين "سنابلَ الذهبِ" بالإضافة فيقول: ((التبعية بالطبع تختلف –هنا– دلاليًا عن الإضافة ، لأن الإضافة تجعل الحديث منصبا على الذهب وتجعله سنابل، أما التبعية فتجعل الحديث منصبا على السنابل ، وتلونها بلون الذهب))[٢٥] فالإضافة إلى الصفة تفيد التأكيد على اكتساب الموصوف الصفة ، لأن الموصوف أصبح جزءًا من الصفة وملكا لها ، فالسنابل أصبحت ذهبا ، وليست سنابل تحمل صفة ذهبية. وعليه يكون هناك نوعان من الثياب :

١- " ثياب من سندس" وهي المصنوعة من السندس والاستبرق.
٢- " ثياب سندس" وهو سندس لم يصنع ثيابا وإنما السندس على هيئة الثياب أضيف إليه لون الخضر والاستبرق .

وسياق آية ﴿ خضرا من سندس ﴾ في سورة الكهف يقابل بين ما أُعدّ للظالمين من ماء كالمهل ، وما أعد للصالحين ... ويعقبه الحديث عن جنتين في الدنيا ، وبهما يظهر أثر التصنيع ، فالأرض الصعيد الجرز تصبح جنة من أعناب ومحفوفة بالنخل وفي السورة الحديث عن إقامة جدار اليتيمين وبناء الردم ، فالسورة تتحدث عن تصيير الأمور في الدنيا ، وهو ما سيحدث بعد انتهاء الحياة الدنيا والانتقال إلى الآخرة .

وسورة الدخان التي جاء فيها قوله ﴿ من سندس وإستبرق ﴾ تتحدث عن إنزال العذاب وكشفه ، وما جعله الله –سبحانه– لفرعون من جنات في الأرض ﴿ كم تركوا من جنات وعيون ﴾ (الدخان: ٢٥) وهو تصنيع للأرض لتكون جنة ثم تصنيع بزوال تلك النعم... كما هو الحال بالموتة الأولى التي تتحدث عنها الآيات .

فسياق " من سندس " يشير إلى عملية التصنيع ، فناسبه التركيب الدال على التصنيع.

أمّا سورة الإنسان فالحديث فيها عن أعمال الأبرار (وهو ما أُجمِل في سورة الكهف وسورة الدخان) وعن جزائهم بتفصيل يشير إلى أنّ ما في الآخرة من أمور لا توجد في الدنيا ﴿ كأسٍ كان مزاجها كفورا ﴾﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾﴿لا يرون فيها شمساً لا زمهريرا ﴾ ويزيد في تكريم المؤمنين بنسبة الفعل إلى الله " فوقاهم " " ولقاهم " " وسقاهم " وجاء وصفهم بـــ " عاليهم " بدلا من "يلبسون" في سورة الكهف وسورة الدخان .

فموضوع سورة الإنسان تفصيل الجزاء الحسن للأبرار ، ومبالغة التكريم للإنسان كما تدل عليه أول السورة ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان:١) وهو ما يقتضي الجزاء بثياب غير مصنوعة بل موجودة بأصلها السندسي ، وكأنّها في الدرجة الأعلى من درجات الجنة (ففي الجنة السابقون وفيها أهل اليمين) أما تركيب الثياب المصنوعة من سندس واستبرق فهو مناسب لتصنيع الأرض لتكون جنة وتصنيع الدنيا لتكون آخره ، وهو جزاء لمجمل من آمن وعمل صالحا .

ولا يتناقض ذلك مع ما جاء في سورة الإنسان عن القوارير أنها " قوارير من فضة " لأن الأفضل أن تجمع القوارير بين خصائص الزجاج والفضة (كما سبق وأن ذكر السيوطي) فلابد من تركيب يظهر عملية تصنيع المعدن ، وهو محبب للنفس، أما الثياب فالنفس تقبل أن تكون سندساً خالصاً خاصة مع سياق الآيات التي يصف أهل الجنة بأنهم لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً.

- ســـَـــوء :

جاءت الصفة " سوء " مضافا إليها ثماني مرات في القرآن الكريم ، وصفة " السيئ

" مضافا إليها مرة واحدة ، وذلك في التراكيب الإضافية : **دائرة السَوء ، ظن السَوء ، امرأ سَوء ، قوم سَوء ، مطر السَوء ، مثل السَوء ، مكر السيئ .**

وهى في المواضع الآتية :

يقول تعالى : ﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ (التوبة : ٩٧ – ٩٨) .

قولـــه تعالى ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ (الفتح : ٦) .

وعن وجود فرق بين السُوء والسَّوء يقول الزمخشري : ((فإنْ قلتَ : هل من فَرْقٍ بين السَّوء والسُّوء ؟ قلتُ هما : الكَرهُ والكُرهُ ، والضّعفُ والضُّعف ، من ساء ، إلا أنّ الفتح غلب أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء ، وأما السوء بالضم فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير))[٢٦] فالسَّوء – بالفتح – مصدرٌ من (ساء) ، والسوء – بالضم – اسم للسيئ في ذاته .

ويبيّن أبو السعود في تفسيره أن تركيب " دائرة السوء ": ((من باب إضافة الموصوف إلى صفته ، فوصفت في الأصل بالمصدر مبالغة ، ثم أضيفت إلى صفتها كقوله عز وجل ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ (مريم:٢٨)))[٢٧] فالتركيب الوصفي هو الأصل .

وقد جاء تركيب "دائرة السَّوء" في سورة التوبة التي تفضح المنافقين الذين تخلفوا عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك سنة عشر من الهجرة .

وسياق التركيب الإضافي يتحدث عن كره المنافقين للجهاد والنفقة في سبيل الله ،

وتتحدث عن رغبتهم الخفية في هزيمة المسلمين ، فعقيدتهم التي يبطنونها باطلة لا يأتي منها إلا ما هو مردود عليهم ، فما ينفقونه سببه الخوف والنفاق ، وتربّصهم هزيمة المسلمين نابعٌ من عقيدة الكفر والنفاق ، وهى عقيدةٌ سيئةٌ ، وجزاؤهم سيئ من جنس عقيدتهم .

فالتركيب الإضافي " دائرة السوء " يوضح أن السوء مصدر أعمالهم التي تعود عليهم، فإلى السوء يضاف عملهم المردود عليهم ، وتحلّ بهم وبالكفار الهزيمة (الدائرة) النابعة من سوء عقيدتهم الباطلة.

وكذلك جاء تركيب " دائرة السوء " في سورة الفتح ، إذ تتحدث الآيات عن تخلف المنافقين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الحديبية سنة ست من الهجرة ، يقول تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(الفتح : ١١) فتركيب " دائرة السوء " يخصّ هذه الفئة من الأعراب التي تبطن الكفر ، ويتربّصون الهزيمة بالمسلمين ، فعادت عليهم هذه الهزيمة ، فتربّصهم نابع من " السوء " (عقيدتهم) وعاد التربّص عليهم ، فحلّت الدائرة عليهم .

فالعدول عن التركيب الوصفي " الدائرة السيئة " إلى التركيب الإضافي ليبيّن أن الجزاء من جنس العمل النابع من السوء (النفاق) ، فأضاف الدائرة إلى السوء كما يضاف الشيء إلى مالكه المحيط به.

وفى الآية السابقة في سورة الفتح جاء تركيب " ظن السوء " مع تركيب " دائرة السوء، وقد جاء الظن في القرآن الكريم بصيغة الفعل سبعا وأربعين مرة ، وهو لما يسوء ويحسن، وجاء اسم " الظن " اثنين وعشرين مرّة ، وهو لما يسوء ؛ وذلك لأن صيغة الفعل من الظن تفيد أنه ظن وقتي ، وارد عن المؤمن والكافر ، فجاء بما يسوء ويحسن مثل قوله تعالى

﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور: ١٢) وقد يقود الظن إلى اليقين، أمّا ثبوت الظن وهو ما تفيده صيغة الاسم فلا يكون إلا بما يسوء عند مختل العقيدة .

وقد جاء تركيب " ظن السوء " في سياق البشارة بفتح مكة ، يقول الزمخشري عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (الفتح : ١) : ((هو فتح مكة ، وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عِدَة له بالفتح))[٢٨] والشروط التي نصّ عليها صلح الحديبية كانت مثارا للظن السيئ في أن هذه الشروط دنيّة في حق الإسلام وحق المسلمين.

لكن الآية لا تعيب على المنافقين الظن السيئ وهو أمر يمكن حدوثه في هذا المقام ، فليس المراد أن المنافقين ظنوا ظنا سيئًا في جدوى شروط صلح الحديبية ، وإنما المراد أن المنافقين ظنوا ظنًا سيئًا في نصرة الله تعالى للإسلام والمسلمين ، فالمراد من إضافة الظن إلى السوء أن يبيّن أن ظنهم نابع من عقيدة النفاق ، فهو ظن من السوء ، يقول الزمخشري عن معنى " ظن السوء": ((ظنهم أن الله تعالى لا ينصر رسوله والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين))[٢٩] فالعدول عن التركيب الوصفي (الظنّ السيئ) حتى لا يُفهم أن الآيات تعيب على من يظن الظن الخاطئ في نفع شروط الحديبية ، فالمراد من الآيات أن تعيب على من يظن الظن السيئ في صدق الإسلام ونصر الله تعالى ، فيأتي الظن من عقيدة فاسدة ، فهو ظنٌّ كالأمل عند المنافق والمرتاب ، فجاءت الإضافة إلى الصفة " السوء " لأن السوء هي عقيدة النفاق المحيطة بالظن ، كما يضاف الشيء إلى مالكه المحيط به .

٣- وجاء قولـــه تعالى على لسان قوم مريم عليها السلام ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ (مريم: ٢٨) إذ ليس المراد وصف عمران عليه السلام بشخصه وإنما نفى أن يكون السوء متسلطا على عمران متحكما فيه ، فيقود عمران أهل

بيته إلى السوء ، أو لا يستطيع ردّ السوء عنهم أو نهيهم عن السوء.

فنفى السوء –هنا– نفيٌ للوقوع تحت سلطة السوء ، وهو ما لا يفيده تركيب (ما كان أبوك سيّئا) بينما جاء تركيب: ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ ولم يعدل إلى الإضافة بأن يقول (وما كانت أمك امرأة بغيٍ) لأن نفى الوصف السيئ في ذات المرأة أولى من الرجل ، وهو يناسب ما يكون للمرأة من خفاء ، أما أفعال الرجل فهي أكثر علانية فيظهر تملك السوء له ، والمقصود نفي تملك السوء للأب ، لأن تملك السوء له يجعله يقود بيته للسوء ، أما مع الأم جاء نفي الفعل السيئ عنها ، لأن فعلها السوء (البغي) يؤثر في الأبناء بالتقليد لسلوكها لا بالإجبار والقوة كالأب، فالأم تؤثر على أبنائها بسلوكها وفطرتها ولا تجبرهم ، فالمرأة لا تقود المنزل أو تحيطه ، وإنما تؤثر فيه بذاتها فناسب ذلك تركيب ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ ليبيّن سلامة الأم في ذاتها المؤثرة على الأبناء من غير أن يكون للأم سلطة كسلطة الأب ، أمّا الأب فيؤثر على أبنائه بسلوكه في شخصه وبسلطته على بيته ، فهو الذي يدفع عنهم السوء ويقوده إليهم ، فيظهر في دور الأب معنى الإحاطة والملكية لبيته ، فناسبه التركيب الإضافي ، لينفي وقوع الأب تحت سلطة السوء أو إحاطة السوء به وبقوامة الأب على بيته مع عفّة الأم في ذاتها يكمل حسن تربية السيدة مريم عليها السلام .

وينبغي الإشارة إلى أمر آخر ، وهو أن دلالة الصفة " سوء " على العقيدة في تركيب "ظن السوء" يجعل نفى السَوء عن عمران عليه السلام في تركيب " امرأ سوء " دالا على سلامة عقيدته، وهو أمر يوضحه معنى الاصطفاء مع الأنبياء وذكر اسمه في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣٣ – ٣٤) وكأن قوام العقيدة أولى في مقام الأب ، وقوام السلوك أولى في مقام الأم .

٤- وجاء تركيب " قوم سوءٍ " مرتين في سورة واحدة ، مرّة لقوم لوط ومرّة لقوم نوح ، ويقول تعالى: ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأنبياء : ٧٤ – ٧٧) .

وقد ذكرت الآيات لوطا عليه السلام قبل نوح عليه السلام ليدل ذلك على دلالة تستدعى تقديم لوط المتأخر زمنيا عن نوح عليهما السلام ، إن السورة (الأنبياء) تتحدّث عن حفظ الله تعالى لرسله من بطش الكفار مع كثرتهم ، فتذكر أولا إنقاذ الله لنبيه إبراهيم ثم لوط ثم نوح ثم ما منحه الله لداود وسليمان من عون على الحكم ثم رحمته بأيوب ثم عنايته بإسماعيل وإدريس وذي الكفل واستجابته ليونس ثم زكريا عليهم السلام جميعا ، وحديث السورة عن حماية الله لأنبيائه يجعل إبراهيم عليه السلام في مقدمة الحديث ، لعظم آية نجاته من النار .

ويربط السياق بين نجاة إبراهيم ونجاة لوط عليهما السلام بقوله تعالى ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:٧١) فالسياق يُبين أن موضوعه حماية الله لأنبيائه من بطش الكفار ، وحماية الله للوط عليه السلام كانت من القرية التي تعمل الخبائث ، وسعت للإساءة إلى ضيف لوط عليه السلام ، مما يظهر ضعف لوط أمام كفر قومه ، وتظهر الآيات في سورة هود أنه لم يكن مع لوط عليه السلام من ينصره ، ويقول تعالى ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيد﴾ (هود:٧٨)

وتؤكد آيات سورة الذاريات قلّة المؤمنين مع لوط عليه السلام ، ويقول تعالى:

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الذاريات: ٣٥ – ٣٦) وبعد الحديث عن حماية الله للوط عليه السلام في سورة الأنبياء يأتي الحديث عن نداء نوح عليه السلام لربه ، فالآيات تشير إلى دعاء نوح عليه السلام على قومه من شدة ظلمهم (وهو ما ذكرته سورة نوح) وتوضح سورة هود قلة المؤمنين منهم ، ويقول تعالى ﴿ احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ (هود : ٤٠)

فكان نوح عليه السلام في قلة مؤمنة من قومه ، وكذلك كان لوط عليه السلام ، بل أن الإيمان لم يشمل بيتهما ، فامرأة نوح ، وامرأة لوط مضرب المثل في كفرهما تحت عبدين صالحين ، وابن نوح عمل غير صالح ، **وهذا يدلّ على أمر يجمع بين قوم لوط وقوم نوح جعل التركيب الإضافي " قوم سوء " لهما – دون غيرهما** – وهو : أن قوم لوط وقوم نوح كانا على درجة كبيرة من العناد الجماعي، وصل إلى زوجة كلٍ منهما.

فالفرق بينهما وبين قوم فرعون – مثلا – أن القرآن يحدثنا عن رجل مؤمن من آل فرعون (ولم يكن مع لوط رجل رشيد) ويحدثنا عن إيمان السحرة واتباع بني إسرائيل المتواجدين مع فرعون – لموسى عليه السلام ، كما يحدثنا عن سطوة فرعون التي تمنع من إيمان المستضعفين فالفرق أن قوم لوط اشتركوا في الخبائث، وقوم نوح أجمعوا على العناد لفترة طويلة، أما قوم فرعون فهم قوم خوف واستخفافٍ من فرعون .

والمتتبع لآيات سورة هود يلاحظ ما يؤكد قلة المؤمنين مع نوح ولوط عليهما السلام ، إذ تتحدث سورة هود عن نجاة نوح مع لفظ " أَهْلَكَ " ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (هود:٤٠) وكذلك نجاة لوط عليه

السلام مع لفظ "أَهْلِك" دون ذكر من آمن ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ (هود:٨١) أما أنبياء الله هود وصالح وشعيب عليهم السلام فالنجاة مع صيغة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾ ﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾ (هود:٨٥) ﴿نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾ (هود:٦٦) ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾ (هود:٩٤) .

وهو ما يؤكد قلة عدد المؤمنين مع نوح فخُصّ بقوله ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ وقلة عدد المؤمنين مع لوط فلم يذكر معه الذين آمنوا به، ويتوافق ذلك مع تقديم لوط عليه السلام في سورة الأنبياء ، إذ أن عدم وجود ناصر له من قومه واجتماع قومه عليه وعلى ضيفه ادعى لتقديم الحديث عنه في سياق حماية الله تعالى له .

فسورة هود وسورة الأنبياء تؤكدان قلة المؤمنين بلوط ونوح عليهما السلام ، وهو يدل على عظم كفر قومهما ، وبذلك اشتركا سويا في تركيب " قوم سوء " فقوم لوط تمكن منهم عمل الخبائث حتى أن القرآن الكريم نَسَبهُ إلى قريتهم كاملة (القرية التي كانت تعمل الخبائث) ولم يمتنعوا عن مراودة ضيف لوط عليه السلام ، فالسوء (الخبث) متمكّنٌ منهم متحكم فيهم .

وقوم نوح عليه السلام استمروا على كفرهم وعنادهم مدة طويلة حرص القرآن الكريم على ذكرها:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت:١٤) ويدل ذلك على شدة كفرهم وتمكن السوء منهم وهو ما جعل نبي الله يدعوا عليهم بالهلاك جميعا ، فبقاؤهم ليؤمنوا أمرٌ ميؤوس منه ، بل أنهم لن يلدوا إلا فاجرا كفارا، يقول تعالى عنهم : ﴿وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً﴾ (نوح:٧) ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾ (نوح:٢٢) ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ (نوح:٢٤) فكان دعاء نبيهم: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ (نوح:٢٤) ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦)

فقوم لوط تمكن منهم عمل الخبائث ، وهو أمر استدعى الإضافة للسوء ، ليبيّن تملك السوء منهم ، فلا عقل ولا عقيدة مع انجراف شهوة شاذة ، وقوم نوح تمكّن العناد والكبر منهم فترة طويلة فهم قوم ملّكوا للسوء ، فاستدعى ذلك إضافتهم إليه ، ولذلك اشترك القومان – أيضا – في شمول العقاب ، فلقد أصاب قوم نوح الطوفان ، وهو ماء ، والماء في أصله للحياة لكنه – هنا – غطى ملامح الأرض كلها فلم تكن النجاة إلا في سفينة نوح لمن آمن ولاثنين من كل زوجين ، فكانت بداية لحياة جديدة بعد انتهاء الطوفان وأصبح نوح أبا للبشر .

فالعقاب كان شاملا ، لأنهم قوم سوء ، تحكم السوء فيهم وتمكن منهم ، فكان العقاب (الطوفان) متمكّنًا في كل الأرض حتى الحيوان والنبات ممن لم يحملهم نوح عليه السلام .

وعقاب قوم لوط يشبه عقاب قوم نوح في أمرين : –

أن العقاب يشمل المكان لكل الكائنات الحّية ، وذلك لشدّته ، يقول تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ* مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (هود: ٨٢ ، ٨٣) يقول الزمخشري مفسراً ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾: ((جعل جبريل جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ، ثم قلبها عليهم ، وأتبعوا الحجارة من فوقهم))[٣٠] فهيئة العقاب تنزع المكان الثابت ، كما أن الطوفان ماء غطى الجبال ، فلا توجد يابسة مكان عقاب قوم لوط وقوم نوح ، وشمل عقابهما كل المكان بما فيه من كائنات حيّة .

وهو أمر يلاحظ من ارتباط عقاب قوم لوط بالمطر ، فإذا كان عقاب قوم لوط بالحجارة المسوّمة . فلماذا لفظ " أمطرنا "؟ إن الحجارة تقبل لفظ " أرسلنا " كما جاء في قوله الملائكة لإبراهيم عليه السلام عن عقاب قوم لوط قبل ذهابهم إلى لوط وإساءة قومه لضيفه (

الملائكة) يقول تعالى :﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ*لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ*مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (الذاريات : ٣١ – ٣٤) كما جاء الإرسال لحجارة أصحاب الفيل: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (الفيل : ٣ – ٤) فإرسال الحجارة على قوم لوط جاء بلفظ " أمطرنا " ، قد يكون ذلك لأن المطر أصله إحياء للأرض فجاء لقوم لوط بالموت ، كما أن أصل الشهوة (ماء النطف) لاستمرار الحياة ، لكنهم جعلوا الشهوة في غير موضعها فضاعت حكمة استمرار الحياة ، فكان العقاب بمطر نقيض أصل ما جعل له (الحياة) .

وقد يكون العقاب بلفظ " أمطرنا " ليدلّ على عموم العقاب من كل جهة ، وشدّة وقوعه عليهم، وأنه من الله تعالى من جهته العليا في السماء مباشرة أشدّ وأوقع ، وفى كل ارتبط قوم لوط بالمطر ، وأصله اللغوي يدل على الماء ، كما أن الطوفان – وهو عقاب قوم نوح – أصله الماء .

فهناك اشتراك بين قوم نوح وقوم لوط في:

قلّة المؤمنين بهما ، وتمكّن السوء والكفر منهما، وعموم العذاب بهما وبمكانهما بما فيه من أحياء ، وهو عذاب اشترك بينهما في دلالته على الماء ، وهو يفسر اشتراكهما في التركيب الإضافي – قوم سوء – دون غيرهما .

فلما كان كفرهم وعقابهم متحكما فيهم ، متمكّنًا منهم ، عدل عن التركيب الوصفي إلى التركيب الإضافي " قوم سوء " لدلالة الإضافة على أن المضاف (قوم) مِلكٌ للمضاف إليه (السوء) فهم مِلك للسوء بتمكّنِ السوء منهم .

٥- وجاء تركيب " مطر السوء " مرّة واحدة وهو لقوم لوط ، إذ يقترن المطر (الماء) الذي

أصله للإحياء بالسوء .

ولقد جاء الفعل بصيغة الأمر " أمطر " مرة واحدة ، وذلك على لسان من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يقع بهم هذا العذاب ، يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال : ٣٢ – ٣٣) .

وجاء اسم الفاعل الدال على زمن الفعل المضارع " مُمْطرنا " مرّة واحدة وذلك على لسان عادٍ قوم هود عليه السلام ، ظناً من عادٍ أنه ممطرهم ، ولكنه لم يكن كما ظنوا ، فيقول تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأحقاف : ٢٤) .

وجاء الاسم " مطر " دون مجيء فعلٍ معه في قوله تعالى ﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ (النساء : ١٠٢) وهى في تشريع صلاة الخوف .

فجميع المواضع السابقة تتحدّث عن المطر قبل نزوله بالعذاب أو الأذى .

أما الفعل الماضي فلقد جاء ست مرات جميعها لقوم لوط ، خمسة منهما بصيغة المبنى للمعلوم " أمطرنا " في سياق حضورهم ، لذا جاء فيها قوله تعالى ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ ولم يأت فيها التركيب الإضافي " مطر السوء " ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ*وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف : ٨٣ – ٨٤) .

﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ (هود : ٨١ – ٨٢) .

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (الحجر : ٧٣ – ٧٤) .

﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ١٧٠ – ١٧٤)

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾

(النمل : ٥٧ – ٥٨) .

أما المرة السادسة التي جاء فيها الفعل الماضي ، فقد جاءت بصيغة المبنى للمفعول "أُمطرت" وجاء معها التركيب الإضافي " مطر السوء " ، يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾ (الفرقان : ٤٠) والمراد بالقرية في الآية الكريمة – كما يقول الزمخشري – : ((من قرى قوم لوط))[٣١] والحديث عنها بعد زوال أهلها بزمن ، فخطاب الغيبة موجه لقريش ، فجاء تركيب " مطر السوء " في هذا الوضع دون غيره لدلالة إحاطة السوء للمكان وبقائه إذ تتملك الصفةُ المطر والمكان الواقع عليه .

فالمواضع الخمسة التي جاء فيها الفعل " أمطر " مبنيا للمعلوم كانت لعذاب قوم لوط في زمن حضورهم وخطاب لوط عليه السلام لهم ، وخطابهم للوط وإيذائهم له ، فناسب دلالة الحضور الفعل المبنى للمعلوم " أمطر " ، ولم يأت المطر مضافا إلى صفة السوء في هذه المواضع ، لأنها تتحدث عن تحوّل المطر إلى إساءة وعذاب لهم ، فأصل المطر ليس سيئا ، فهو للإحياء ، وإنما يأتي منه الأذى وتكون به الإساءة ، فجاء قوله تعالى ﴿فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ ليبيّن في زمن حضور قوم لوط كيف تحول المطر من الإحياء إلى الإساءة ، فالفعل

ساء يدلّ على الحدوث ، أي حدوث تحوّل المطر إلى إساءة لهم .

أما الموضع السادس الذي جاء فيه التركيب الإضافي ، فإن السياق يخاطب قريشا ، فهو يتحدّث عن مكان قوم لوط بعد مُضي زمن على إهلاكهم ، فيتحدث عنهم في زمن غيبتهم وحضور قريش ، فالمطر أصاب المكان وأحاط به ، وظلّ المكان عظة لغيرهم ، فناسبه وصف المطر بالسوء عن طريق إحاطة الصفة (السوء) بالموصوف (المطر) لأن المطر بعد وقوعه على المكان أحاط السوء بالمكان وما فيه ، وتمكّن منه ، فتملك المضاف إليه (السوء) المضاف (مطر) .

فتركيب " ساء مطرُ " أثناء نزول العذاب على قوم لوط إشارة إلى تحول المطر إلى سوءٍ عليهم، وجاء العدول إلى التركيب الإضافي " مطر السوء " (الدال على إحاطة الصفة بالموصوف) بعد انتهاء زمن العقاب ، وبقاء المكان محاطا بالسوء عظة لمن يمرّ عليه .

٦- وفى موضع واحد اجتمعت هذه التراكيب الثلاثة : " سوء " مضافة ، إضافة الموصوف إلى الصفة " سوء " ، التركيب الوصفي، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ * لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النحل:٥٧ – ٦٠) .

وتركيب " سوء ما بشر به " يدلّ على حدوث السوء من البشارة ، وليست البشارة في ذاتها سيئة ، وإنما حدث السوء للمبشّر لما في نفسه من كراهيته لهذه البشارة .

أما تركيب "مثل السوء " فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة ، إذ أن مماثلة الله

سبحانه وتعالى لخلقة في نسبة البنات أو الأولاد له مثلٌ سيئ ، لا يأتي إلا من عقيدة سيئة، لذلك فسّر الرازي التركيب الإضافي " مثل السوء " بالتركيب الوصفي ، يقول الرازي: ((والمثل السوء عبارة عن الصفة السوء ، وهى احتياجهم إلى الولد ، وكراهيتهم الإناث خوف الفقر والعار، ﴿ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ ﴾ أي الصفة العالية المقدسة ، وهى كونه تعالى منزهًا عن الولد))[٣٢] فتركيب " مثل السوء " عدولُ عن التركيب الوصفي " المثل السيّئ " وداعي العدول : أنْ تُظهر الإضافة أنّ المثل (مماثلة الله تعالى لخلقه في الحاجة إلى الولد) نابع من السوء (العقيدة الباطلة والقياس الفاسد) فالمثل (المضاف) جزء من السوء (المضاف إليه) ومِلكٌ له ، تحيطه وتغذيه العقيدة الباطلة .

أمّا التركيب الوصفي " ولله المثل الأعلى " فتأتى فيه الصفة (الأعلى) تابعة للموصوف (المثل) إذ لا يوجد داعٍ للعدول عن تركيب الوصفي ، والصفة فيما يتعلق بالذات العلية تتساوى مع الموصوف.

٧- وجاء التركيب الإضافي " مكر السيئِ " والتركيب الوصفي " المكر السيئ " معاً في قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً * اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ (فاطر:٤٢ – ٤٣) .

وإضافة المكر إلى الصفة (السيئ) لأن الصفة ظاهرة بيّنة في هذا المكر ، فهي التي تحركه وتحيط به ، يقول الرازي: ((وأضيف إلى "السيئ " لكون السوء فيه أبين الأمور))[٣٣]

فإنكار الكافرين الوحي ، مع أنهم كانوا يدعون أنهم سيؤمنون بالوحي إذا جاءهم، مكرٌ

وتبديل وتحوّل يحيطه سوء عقيدتهم وضمائرهم التي تدفعهم إلى الاستكبار على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما التركيب الوصفي " المكر السيئ " فهو عقاب يوصف بالسوء لأنه يسوء الكفار ، ولا ينبع من السوء .

فالمكر انتقل من مكرٍ خفي ، نابع من عقيدة فاسدة ، جاء في صورة التركيب الإضافي " مكر السيئ" إلى وسيلة عقاب معلنة من الله تعالى ، فجاء في صورة التركيب الوصفي "المكر السيئ" ليدل على أنه مكر سيئ في ذاته لأنه عقاب ؛ فوصف بالسيئ ، ولأنه معلن ومن الله تعالى لم يأتِ مضافًا إلى الصفة " السيئ " فهو ردّ على المكر النابع من السوء (التركيب الإضافي) بمكر آخر من الله تعالى (التركيب الوصفي) كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٥٤).

وليس الأمر كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ (التوبة: ٩٨) فالعقاب هنا بدائرة السوء ، لأن الهزيمة التي أرادوها بالمسلمين هي ذاتها التي حاقت بهم ، فالدائرة واحدة في مقام المعركة .

فتركيب " المكر السيئ " عقاب من الله تعالى ينبع من عقيدة سيئة ، أما تركيب "عليهم دائرة السوء" فهو لما ينفقه المنافقون رياءً وخوفًا من المسلمين مع تربص الهزيمة بالمسلمين ، فهو نفسه مردود عليهم ويعود بالدائرة ذاتها (الهزيمة) عليهم ، فعاد الإنفاق والتربص النابع من السوء عليهم وحلّت الهزيمة التي كانوا يريدونها للمسلمين بهم .

أمّا عقاب الله تعالى بالمكر السيئ فهو سنة بعد إمهال الكفار ، فمكر السيئ يحدث منهم في خفاء وفى غير وقت المكر السيئ (العقاب) الذي يحدث علانية بعد زمن ، فدلتّ

الإضافة إلى الصفة " السيئ " على عقيدتهم وضمائرهم التي تحيط بأفعالهم .

ولعل سبب الإضافة إلى الصفة المشتقة " السيئ " بدلاً من المصدر " السوء " أن المكر لا يكون من الجماعات كلّها ، وإنما من الأفراد الذين أوتوا القدرة العقلية على المكر ، فناسبه المشتق (السيئ) دلالة على الفرد .

فإضافة الموصوف إلى الصفة (السوء) يأتي لداعٍ بلاغيٍ كدلالة السياق على تملك السوء كعقيدة يصدر عنها الفعل ، أو شموله لجميع القوم كما في (قوم سوء) .

- الضِعـف :

جاء التركيب الإضافي (جزاءُ الضعفِ) في سياق يحثّ على الإنفاق في سبيل الله ، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُم جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٧-٣٩) ويقول الزمخشرى عن أصل التركيب الإضافي: (("جزاءُ الضعفِ " من إضافة المصدر إلى المفعول ، أصله: فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ، ثم جزاءَ الضعف ، ثم جزاءُ الضعفِ))[٣٤] .

ويرى د . تمّام حسان أن أصل " جزاء الضعف " التركيب الوصفي "الجزاءُ الضعفُ"، فيقول : ((﴿فَأُوْلَئِكَ لَهُم جَزَاء الضِّعْفِ﴾ (سبأ: ٣٧) لهؤلاء المؤمنين "جزاءٌ مضاعفٌ " ، ولكن هذه العبارة [جزاءٌ مضاعفٌ] التي جرت مجرى التنكير ، لا تفهم أي قدرٍ من التأكيد. ولو قيل: "ضعف الجزاءِ " لكان التعريف المفيد للتأكيد في الآية قد أصاب الجزاء دون الضعف ، غير أن المراد إبراز المضاعفة للجزاء وليس إبراز الجزاء نفسه ، ولهذا لحقت

الأداة [أداة التعريف " الــ"] بالضعف ، مع جعله في موقع المضاف إليه))[٣٥] وأن يكون التركيب الإضافي " جزاء الضعف " عدولاً عن التركيب الوصفي " الجزاءُ الضعفُ" أو "جزاءٌ مضاعفٌ " هو الأقرب ، لأن اللفظ "ضعف" جاء في القرآن الكريم صفةً في التركيب الوصفي " عذاباً ضعفاً " فمن المقبول تفسير التركيب الإضافي " جزاءُ الضعفِ " بالتركيب الوصفي " الجزاءُ الضعفُ " .

وقد أرجع د . تمّام داعي تعريف الصفة " ضعف " بأداة التعريف " الــ " والإضافة إليها إلى إبراز الصفة " ضعف " .

فتركيب " جزاءُ الضعفِ " عدول عن الجزاء الضعف " بإضافة الموصوف إلي الصفة، لتفيد الإضافة إبراز الصفة " ضعف " فهي المالكة للجزاء والمحيطة به ، ويتضح الفرق بين التركيب الإضافي " جزاءُ الضعفِ " والتركيب الوصفي " الجزاء الضعف " وداعي كلٍ منهما بالنظر في الفرق بين سياق التركيب الإضافي" جزاء الضعف " وسياق التركيب الوصفي " عذاباً ضعفاً " .

فقد جاء التركيب الوصفي " عذاباً ضعفاً " مرتين ، في كليهما حوار بين أهل النار ، الضالين والمضلين ، ويفيد الحوار أن كلاً من فريقي أهل النار استحقّ العذاب أولاً لكفره ، واستحقّ مضاعفة العذاب ثانياً لأنه أضل الآخر أو أعانه على كفره ، يقول الله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ* وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٨-٣٩) وقال تعالى: ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لاَ مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ النَّارِ* قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ * قَالُوا

رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ﴾ (ص: ٥٩-٦١) فلكل من المستكبرين والمعاونين لهم من أهل النار عذاب ضعف، لأن كلاً منهم جمع بين الكفر والإعانة عليه فكان جزاؤهُ العذاب مثله .

فالتركيب الوصفي يفيد مضاعفة العذاب ، كلٌ على قدر عمله السيئ ، من غير ظلمٍ بزيادة أضعافٍ متعدّدة للعذاب ، بل هو عذابٌ وضِعْفُهُ ، أي بمقدار ، لذا جاء الجزاء بالعذاب في صورته الأصلية " التركيب الوصفي " ، لأنه يفيد مضاعفة العذاب ، لا أن تتملك المضاعفة العذاب ، فيضاعف لأضعافٍ كثيرة .

أما التركيب الإضافي " جزاء الضعف" (الذي جاء للجزاء الحسن للمؤمنين في سياق يدعو إلى الإنفاق في سبيل الله) فيفيد أن الجزاء (المضاف) نابع من المضاعفة (أى من المضاف إليه) لأن الجزاء الحسن للمؤمنين لا يضاعف مرة فيوصف بالضعف ، وإنما يقوم جزاء المؤمنين على العطاء المضاعف الوفير ، فبورك في الجزاء في أصل احتسابه للمؤمنين ، فجزاء المؤمنين يأتي من المضاعفة ، فهو جزء من المضاعفة أضعافاً كثيرة.

وأن يكون جزاء المؤمنين "جزاءُ الضعفِ " الدال على أن الجزاء من جنس المضاعفة المتعدّدة ، وأن المضاعفة مالكة للجزاء ، هو ما يناسب حديث سياق التركيب الإضافي على الإنفاق في سبيل الله ، لأن القرآن الكريم يُبيّن في مواضع أخرى أنّ جزاء الإنفاق في سبيل الله أضعاف كثيرة ، يقول تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة : ٢٤٥) ويقول سبحانه: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ٢٦١) فداعي العدول إلى الإضافة في "جزاء

الضعف" هو : أن الجزاء الحسن للمؤمنين من جنس المضاعفة ، ويقوم على المضاعفة أضعافاً كثيرة.

- العَــــــــرِم:

جاء لفظ " العَرِم " مرّة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ . (سبأ : ١٥-١٦) .

يقول الزمخشري عن لفظ " العَرِم ": ((العرم : اسم الوادي ، وقيل المطر الشديد))[٣٦] وقد فسر الألوسي لفظ " العرم " كصفةٍ للمضاف ، فيقول: ((سيل العرم أي الصعب ، من عَرِم الرجل –مثلث الراء– فهو عارِم وعَرِم ، إذا شرس خلقه وصعب... من إضافة الموصوف إلى الصفة))[٣٧] فتركيب " السيل العرم " عدول عن التركيب الوصفي " السيل العرم " أو السيل العارم " أي : السيل الصعب والكثير.

وسيل العرم وعيد حلّ بسبأ ، وسبأ هى المملكة التى جاءت قصتها في القرآن الكريم في سورة النمل من الآية (٢٢) حتى الآية (٤٤) بما يصوّر ما وصلت إليه من حضارة أوتيت كل شيء، يقول تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (النمل: ٢٣) حتى أن الوصف القرآني يصف شبكة مواصلات هذه المملكة يقول تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾(سبأ :١٨).

وكان داعيها إلى الإسلام الرسول الملك سليمان – عليه السلام – الذي آتاه الله مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده (منه تسخير الرياح والطير والجن...) والرسول يكون على قدر المرسَل إليهم بما يحمله من الآيات التي تعجزهم وهو ما يَدُلّ على قدر النِعَم التى منحها الله لهذه المملكة... فإذا ما حدث منهم الإعراض كان العقاب على قدر النِعم ، وهو داعي المبالغة بالعدول عن " السيلَ العرمَ " إلى سيلَ العرمِ " .

فكان سيل العرم عقاباً أَبْدَل نعيم الجنتين وأحاط بما شيدوه من السدود ، يقول ابن كثير: ((أن الله – عز وجل – لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم بعث على السدّ دابة من الأرض))[٣٨] فكانت مملكة سبأ تؤمِّن عيشتها الطيبة من الغرق بتشييد السدود ، فلا بدّ من أن يكون السيل أعمّ وأقوى ممّا شيدوه وبرعوا فيه ، فجاء وصف السيل العارم ليفيد قوة الصفة وإحاطتها بالمكان وعمومها به ، حيث لا يتفق أمام سيل العرم سدّ ، ولا يترك بلدتهم إلا وأغرقها.

- العســــرة :

جاء التركيب الإضافي "ساعة العسرةِ" وهو يفيد وصف الساعةِ بالعسرة ، وهو ما جاء في قولــه تعالى :﴿ لَقَد تَّابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١١٧) .

وجاء وصف العُسر ليوم القيامة على الكافرين في قوله تعالى :-

١- ﴿ وكَانَ يَوْماً عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيراً ﴾ (الفرقان : ٢٦) .

٢- ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ (القمر : ٨) .

٣- ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ (المدثر : ٩) .

وجاء لفظ " ساعة " ثماني وأربعين مرّةً في القرآن الكريم ، ويراد بها يوم القيامة إلا في سبعة مواضع ، إذ يراد في أربعة مواضع الوقت المحدّد في سياق انتهاء الأجل ، يقول تعالى :

١- ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٤) .

٢- ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس : ٤٩)

٣- ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (النحل : ٦١) .

٤- ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لاَّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سبأ : ٣٠).

وجاء لفظ " ساعة " في موضعين مع الحديث عن الحشر ونهاية الحياة الدنيا :

١- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ (يونس : ٤٥) .

٢- ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ (الأحقاف : ٣٥) .

أما الموضع السابع الذي جاء فيه لفظ " ساعة " فهو في تركيب " ساعة العسرة " .

وهو ما يدلّ على ما يحيط لفظ " الساعة " في القرآن الكريم من معانٍ عِظام (يوم القيامة ، انتهاء الأجل ، الحشر) وهي معانٍ فاصلة بين الحياة والموت ، وتوحي بالحساب والخوف .

وهذه المعاني موجودةٌ فيما ذكره المفسرون عن "ساعةِ العسرةِ" التي حدثت في غزوة تبوك، فيقول أبو السعود عن معنى " في ساعة العسرة": ((أي في وقتها ، والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه ، وهى حالهم في غزوة تبوك ، كانوا في عُسرةٍ من الظّهرِ يَعتَقِبُ عشرةٌ على بعير واحد ، ومن الزاد تزوّدوا التمر المدوّد ، والشعير المسوس ، والإهالة الزنخة ، وبلغت بهم الشدة إلى أن أقتسم التمرة اثنان ، وربّما مصّها جماعة ليشربوا عليها الماء

المتغيّر))[٣٩].

وإذا كانت مظاهر العسرة تلك سبباً في العدول إلي الإضافة مبالغة بتملك الصفةِ الموصوفَ ، فإنّ أهوال يوم القيامة أشدُّ عُسْراً ، ومع ذلك جاءت أهوال يوم القيامة في صورة التركيب الوصفي ، وما ذلك إلا مراعاةً لما في يوم القيامة من يسرٍ ليس موجوداً في موقف غزوة تبوك ، فالعسر في غزوة تبوك كان محيطاً بالمؤمنين ، فهو عسر بينهم والعدو أمامهم .. أما يوم القيامة فالقرآن الكريم يصفه بالعسر واليسر معاً ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ (الليل : ٥-٧) .

فلا يحيط وصف العسر بيوم القيامة لأنّ فيه يسراً للمؤمنين ، وأحاط العسر بموقف غزوة تبوك لأنه من داخل الجيش وخارجه .

- نَحـــس :

لم يرد لفظ " نحس " أو مشتقاته في القرآن الكريم إلا مرتين ، وكلاهما جزاء لعادٍ ، جاءت الأولى في التركيب الوصفي " أيام نحساتٍ " والثانية في التركيب الإضافي " يوم نحسٍ".

أما التركيب الوصفي فقد جاء في سورة فصلت في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (فصلت : ١٣ –

١٦).

أمّا التركيب الإضافي فقد جاء في سورة القمر في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

(القمر:١٨- ٢٢) .

يقول الرازي عن (يومِ نحْسٍ مستمر) : ((والمراد من اليوم ــ هنا ــ الوقت والزمن : كما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم :٣٣) وقولــه (مستمر) يفيد ما يفيده الأيام ، لأنّ الاستمرار يُنبئُ عن إمرار الزمن كما يُنبئُ عنه الأيام ، وإنّما اختلف اللفظ مع اتحاد المعنى ، لأنّ الحكاية ــ هنا ــ مذكورة على سبيل الاختصار ، فذُكر الزمان ولم يذُكر مقداره، ولذلك لم يصفها))[٤٠] .

فالرازي يبيّن أن وصف اليوم في سورة القمر بلفظ (مستمر) جعله مساوياً في المعنى لتعدّد الأيام في سورة فصلت التي ذكر فيها لفظ (أيام) .

وعلّة اختلاف اللفظ عند الرازي: أن سورة القمر تذكر قصة عادٍ مختصرة فناسبه وصف الزمن بتركيب (يومٍ مستمر) ؛ لأن المراد ذكر عذابهم لا التفصيل في مقدار العذاب بأنه استمر عدّة أيام .

غير أن وراء اختصار القصة في سورة القمر أمراً آخراً ، وهو أن سورة القمر تنهج نهج الوعيد ، الذي يفرّق بين أسلوب سياقها وأسلوب سياق سورة فصلت التي تنهج نهج التفصيل .

ويظهر الفرق بين السياقين بما جاء في سورة فصلت من هذه الأمور :

١- يأتي لفظ (فصلت) مرتين في السورة في قوله تعالى ﴿ حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت : ١ – ٣) .

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ (فصلت : ٤٤) فالسورة تُبين في أولها وآخرها أن القرآن الكريم ينهج نهج التفصيل (التوضيح) في الآيات الدالة على الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر .

٢- الاستدلال على قضية البعث عن طريق الحديث عن بداية الخلق في تفصيل لمدة الخلق :﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ﴾(فصلت : ٩ – ١٠).

وتتحدث عن تكرار عملية الخلق : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت : ٣٩) كي يستطيع المخاطَب إدراك عملية الخلق من جديد (البعث) حتى وإن كان بعد مدّة من الزمن .

٣- تتحدث سورة فصلت عن هداية الله المتجدّدة للإنسان بإنزال الوحي وبعث الرسل :

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ (فصلت : ١٧)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ (فصلت : ٤٥)

فالسورة تبيّن أن الوحي غرضه إحياء الناس كل حين ، ولذلك نزل القرآن كما يقول تعالى في أول سورة فصلت ﴿ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ (فصلت : ٤) فالله سبحانه وتعالى يحيي الأرض بالخلق المتكرر فيها ، ويحييها – أيضا– بإنزال الوحي من جديد.

٤- وسورة فصلت لا تنهج نهج الوعيد عند حديثها عن الساعة ، وإنما تنهج نهج الإمهال ، فتصف وقت الساعة بالخفاء عن الناس مقروناً ذلك بأمثلة الخلق المتكرر والخفي (الثمرات ، الحمل) يقول تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ (فصلت : ٤٧) فهو الإمهال الدافع للإيمان بالله والتفكر في وجوده ، واستدراك الأمر بالعمل الصالح ، لذا يقول تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت : ٥٣) .

أمّا سورة القمر فقد جاءت بما يلى :

١- تبيّن السورة في أولها أنها تنهج نهج الوعيد بالزجر و الإنذار : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ * وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ (القمر: ١ – ٥) ثم تتوالى الآيات في ذكر أنباء العذاب للأمم السابقة .

٢- تتحدث السورة القمر عن العاقبة السيئة للأمم السابقة : قوم نوح ، عاد ، ثمود ، قوم لوط ، قوم فرعون من الآية (٩) حتى الآية (٤٣) فهى موضوع السورة ، السورة في حديثها عنهم لا تفصّل ما كانوا عليه من كفر وإنما تتحدّث عن عذابهم ، على غير الحال في سورة فصلت التي تحدّثت عن استكبار وتكذيب (عاد) مع ذكر التركيب الوصفي (أيامٍ نحسات) في الآيتين (١٤) و (١٥) من سورة فصلت، بينما جاءت قصة عاد في سورة

القمرـ كما لاحظ الرازي باختصار ، لأن الغرض من سياق سورة القمر الوعيد فلم يذكر إلا عذابهم مع تكراره في قصة عاد قولــه تعالى ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ وجعل أيام العذاب يوماً مستمراً لشدّة إبهام من فيه وعدم شعورهم بعدد الأيام ، فكأن الأيام من شدة العذاب يوم مستمر ، ولتهويل الشعور بوقع العذاب لكونه واقعاً في يوم غير منته بل هو مستمر.

٣- وتصف سورة القمر الساعة بما يتوافق مع نهج الوعيد : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ (القمر :١)

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ (القمر:٤٦) بينما وصفت سورة فصلت الساعة بردّ علمها إلى الله تعالى له في سياق تكرار الخلق .

ومن هذه الأمور يمكن إدراك أن سورة فصلت تبيّن غرض الوحي بشيراً ونذيراً لإحياء الأرض من جديد ، ولتفصيل الآيات التي توضّح خلق الله المتكرر في الأرض الدال على قدرته على البعث من جديد ، وذلك كله تفصيل في الآيات ليكون مدعاة للتفكّر قبل قيام الساعة التي لا يعلم وقتها إلا الله تعالى .

أما سورة القمر فهي تنذر باقتراب الساعة ، وتبيّن أن الوحي جاء بالزجر والنُذر ، وموضوعها عذابُ الله تعالى للأمم السابقة دون تفصيل في أشكال كفرهم ، فهو نهج وعيد وإنذار.

فهناك سياقان :

١- سياق التفصيل للتفكير (سورة فصلت)

٢- سياق الإنذار والوعيد للترهيب (سورة القمر)

فجاء التركيب الوصفي (أيام نحساتٍ) لعذاب عادٍ في سورة فصلت مع سياق

التفصيل لأنه وصف لحقيقة العذاب الذي استمر أياماً نحسات ، فجاء الوصف في صورته الأصلية ، لأن الغرض منه وصف العذاب .

وجاء التركيب الإضافي (يوم نحسٍ) في سورة القمر مع سياق الوعيد لتفيد الإضافة إلى الصفة شدّة العذاب ، فهذا اليوم المستمر الذي لا يشعر من فيه بأنه أيام ، ملك للصفة (نحس) ومن جنسها ، ويحيطه النحس.

فإضافة الموصوف (يوم) للصفة (نحس) أفاد شدّة تمكّن العذاب من هذا اليوم ومَن فيه ، ليناسب ذلك سياق الوعيد في سورة القمر .

- اليقـــــين :

جاء لفظ " اليقين " في القرآن الكريم سبع مرّات ، مرّتين منها بمعنى الموت :

١- ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ ﴾ (الحجر : ٩٩) .

٢- ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا اليَقِينُ ﴾ (المدثر : ٤٦-٤٧) .

ومرة صفة تابعةً للموصوف: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل:٢٢).

وأربع مرات مضافاً إليه:

١- ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ ﴾ (الواقعة : ٩٥) .

٢- ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ ﴾ (الحاقة : ٥١) .

٣- ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ ﴾ (التكاثر : ٥) .

٤- ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ ﴾ (التكاثر : ٧) .

وقد جاء التركيب الوصفي "نبأ يقين" على لسان هدهد سليمان عليه السلام يصف قوم سبأ ، وهو وصفٌ لما شاهده من مظهر في هذه الحياة الدنيا، أما المواضع الأربعة التي جاء فيها التركيب الإضافي (حق اليقين، علم اليقين، عين اليقين) فجميعها لوصف الجزاء في الآخرة، خاصة عذاب المكذبين، وقد اشتركت هذه المواضع بذكر اسم (الجحيم) في سورها ، يقول تعالى ((فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ)) (الواقعة:٩٣،٩٤) ((ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ)) (الحاقة:٣١) ((كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)) (التكاثر: ٥–٦) والإضافة عدول عن التركيب الوصفي ، كما يقول الرازي عن "علم اليقين" : ((في قولـــه "علم اليقين" وجهان: أحدهما : أن معناه علماً يقينياً ، فأضيف الموصوف إلى الصفة ... والثاني: أن اليقين – هاهنا – هو الموت والبعث والقيامة))[٤١] .

وهنا نلحظ أن الأسلوب القرآني جاء بالتركيب الوصفي " نَبَأٍ يَقِينٍ " في سياق وصف مكان مبهر في الحياة الدنيا وعدل إلى التركيب الإضافي عندما تحدّث السياق عن غيبيات الآخرة ، ليكون الغرض من العدول إلى الإضافة إفادة إحاطة الصفة بالموصوف وتملكها له، محاكاة لما يكون في الآخرة من جزاء محاط ومحفوظ من الله تعالى لا يحتمل وجوده الشك في وصفه باليقين ، بل هو ملك لليقين نفسه.

ج) العدول عن التركيب الوصفي لحفظ الموصوف بالصفة :

واستفاد السياق من العدول عن التركيب الوصفي ، بما تكسبهُ الإضافة من دلالة ملكية الموصوف للصفة ، وذلك عند الحديث عن حفظ الموصوف من التحريف أو الإيذاء وتكون الصفة دالّة على معنى الحفظ ، فلا يأتي بالتركيب الوصفي الذي يفيد المعنى الوصفي فقط ،

وإنما عدل إلى التركيب الإضافي لدلالته على أن الصفة تحيط بالموصوف لحفظه ، وهو داعى العدول في هذه التراكيب :

- حــــقّ :

جاءت الصفة " حقّ " مضافا إليها سبع مرات ، أربع مرات منها في التركيب الإضافي " دين الحق " وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة:٢٩)

٢- ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة : ٣٣)

٣- ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ (الفتح ٢٨)

٤- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف : ٩)

والتركيب الإضافي " دين الحق" عدول عن التركيب الوصفي "الدين الحق" ، وقد جاء في سياق الحديث عن تحقيق نصر الله تعالى للإسلام وهزيمة الشرك ، وظهور قوة الإسلام على غيره ، فسورة التوبة نزلت بعد فتح مكة وتبشر سورة الفتح وسورة الصف بقرب فتح مكة ، فجاء العدول إلى إضافة الموصوف إلى صفته ليفيد إحاطة الموصوف (الإسلام) بالصفة (الحق) فهي تحيطه من التحريف أو القضاء عليه ، وتدلّ على نصرة الدين وقوة انتسابه للحق لما تفيده الإضافة من أن المضاف إليه يمتلك المضاف ويحيط به .

وقد جاء التركيب الوصفي في قوله تعالى : ﴿ يوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ **دِينَهُمُ الْحَقَّ** وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ (النور : ٢٥) و الدين هنا هو الجزاء المترتب على العمل، وليس المراد به (الإسلام) فلفظ " الحق " هنا كما يقول الزمخشري: ((صفة للدين وهو الجزاء))[٤٢] والآية تتحدث عن جزاء من يرمي المحصنات الغافلات ، فجاء التركيب الوصفي ليبيّن أنّه جزاء يساوي بشاعة ذنب البهتان ويوافيه ، فهو جزاء موصوف بالحق أي المساواة والعدل ، وليس المراد إحاطة الصفة بالموصوف، كما هو في وصف الإسلام في سياق نصرته على أعدائه ، فسياق التركيب الوصفي يتحدث عن مجازاة الذين يصفون المؤمنات بالبهتان ، فجاء التركيب الوصفي ليدل على المكافأة بالمثل والمساواة في الجزاء ، قلّ ذلك العمل أو كثر ، دون وجود داعٍ لدلالة الحفظ والإحاطة ، وهو يشاكل أيضاً العمل فكما أن العمل وصف بالباطل، جاء الجزاء موصوفاً بالحق في صورة الوصف الأصلية.

وبذلك يفرّق القرآن الكريم بين أسلوب الإضافة (دين الحق) الذي جاء مع سياق حفظ الدين (الإسلام) وأسلوب التركيب الوصفي (دينهم الحق) الذي جاء مع وصف مساواة الجزاء للعمل.

٥- وأضيف الموصوف إلى الصفة " الحق " في قوله تعالى :

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ (الرعد : ١٤) .

وقد تحدث الزمخشري عن دلالة العدول إلى الإضافة في قوله : ((تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل ، كما تضاف الكلمة إليه في قولك " كلمة حقٍ " للدلالة على أنّ الدعوة ملابسة للحق ، مختصّة به ، وأنّها بمعزل من الباطل ، والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة))[٤٣] فالسياق لا يأمر بنوع من الدعاء حتى تأتي الصفة مضافا في تركيب "

حق الدعاء " ولا يخبر عن صحة الدعوة في ذاتها ليأتي التركيب الوصفي " الدعوة الحق " ، وإنما يضع السياق الكفار وما يعبدون من دون الله تعالى موضع التحدي لقدرة الله سبحانه وتعالى فدعاء الكفار لغير الله تعالى دعاء غير محاط بعناية القدرة الإلهية فضلا عن كونه باطلا ، أما دعاء الله وحده فهو دعاء محاط بقدرة الله تعالى على السماع والاستجابة ، فأضيف الدعاء (دعوة) إلى الصفة الحق ليبيّن أن الدعوة مختصّة بالحق – كما يقول الزمخشري – أي ملك للحق فهي محفوظة بالحق ، يملكها من الضياع ، فيُستجاب لها .

فهو عدول عن التركيب الوصفي (الدعوة الحق) الذي يناسبه مقام الحديث عن شروط الدعاء المقبول – إلى التركيب الإضافي " دعوة الحق " لأنه مقام التحدي في القدرة على حفظ الدعوة والاستجابة لها ، وهي – القدرة – ما يدلّ عليها الإضافة إلى الصفة (الحق) فداعي العدول إلى الإضافة الإحاطة والحفظ كما تفيده ألفاظ الزمخشري في النص السابق (مختصّة) (بمعزل) .

٦- وجاء التركيب الإضافي " وعد الحقّ " ليفيد تحقّق الوعد وانتهاء الحياة الدنيا ، يقول تعالى: ﴿ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٢٢) فداعي العدول إلى الإضافة تحقّق وقوع الصفة الموعود بها ، لأن السياق يتحدّث عن وقوعها في النار ، وقد سبق الحديث عن هذا التركيب وداعي العدول إليه.

٧ – وجاء التركيب الإضافي " قول الحق " والتركيب الوصفي " القصص الحق " بعد الحديث عن قصة عيسى بن مريم عليه السلام – أما التركيب الإضافي فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ

الّذي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم:٣٣،٣٤) ويفسر الرازي التركيب الإضافي " قول الحق " بقوله: ((ففيه وجوه : أحدها : وهو أن نفس عيسى – عليه السلام – هو قول الحق ، وذلك لأن الحق هو اسم الله فلا فرق بين أن تقول عيسى كلمة الله وبين أن تقول عيسى قول الحق. وثانيها : أن يكون المراد : ذلك عيسى ابن مريم القول الحق ، إلا أنك أضفت الموصوف إلى الصفة ... وفائدة قولك (القول الحق) تأكيد ما ذكرت أولا من كون عيسى عليه السلام ابناً لمريم))[٤٤] فالتركيب الإضافي " قول الحق " يختّص بعيسى بن مريم ولذلك يأتي مباشرة بعد ذكره عليه السلام كما يقول تعالى ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ بعد دعائه في حياته دون الحديث عن رفع الله تعالى له ، يقول تعالى ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .

أما التركيب الوصفي " القصص الحق " فهو في سياق محاجة أهل الكتاب ، يقول تعالى:﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ﴾ (أل عمران : ٦١ ، ٦٢) فتركيب " القصص الحق " في سورة آل عمران لا يختصّ بعيسى عليه السلام مثل تركيب " قول الحق " الذي جاء بعد ذكر اسمه عليه السلام مباشرة ، وسياق التركيب الوصفي " القصص الحق " يتحدّث عن المحاجة العقلية مع أهل الكتاب ، يقول تعالى :

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾ (آل عمران : ٥٩)

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء ﴾ (آل عمران : ٦٤)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾

(آل عمران : ٦٥)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ٧١)

﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ (آل عمران : ٧٣)

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ﴾ (آل عمران : ٧٩)

فالسياق مع آية آل عمران يتجه إلى المحاجة في عقيدة تأليه المسيح عليه السلام ، وهذا النقاش الذي يقوم على الجدال العقلي غرضه أن يتوصل المخاطب إلى التوحيد أي عبادة الله وحده وإلى بشرية المسيح عليه السلام ، وهي الهداية التي جاء بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو جدال عقلي يقدم الحجة تلو الحجة ليدرك المخاطب فيها أن هذه الأمور حق (صحيحة) في ذاتها ، فالمخاطب يؤمن ببشرية آدم وقدرة الله تعالي علي خلق آم ومن هو مثل آدم ، ومؤمن بأسبقية إبراهيم عليه السلام على عيسى عليه السلام ، فهو يؤمن بحنيفية إبراهيم ، ويؤمن بمنطق إرسال الله تعالى للرسل ، وهذا كله حق عند المخاطب يوصله إلى تقّبل فكرة بشرية المسيح عليه السلام .

فجاء التركيب الوصفي " القصص الحق " مع هذا السياق لأن الغرض فيه إثبات أن هذه الحجج موصوفة بالحق – الصدق – في ذاتها فجاء المعنى الوصفي في صورته الأصلية، وعندما تحدثت سورة آل عمران عن حفظ الله تعالى للمسيح عليه السلام تحدثت عنه قبل الحديث عن محاجة أهل الكتاب بقوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ (آل عمران : ٥٤ ، ٥٥)

وفيه تبيّن الآية ما حدث لعيسى عليه السلام من رجوع إلى الله تعالى يحدث مثيله لكل البشر بوفاة الأرواح ، وإن كان للمسيح روحٌ وجسدٌ حفظاً له من الامتهان ، والآية في ذلك لا تُخرج السياق عن غرضه في إقامة فكرة بشرية المسيح على أمور يؤمن المخاطب بأنها حق ، فالتركيب الوصفي يدلّ علي وجودها بهذا الوصف عند المخاطب وفي الحقيقة .

أما سياق سورة مريم الذي جاء معه التركيب الإضافي " قول الحق " فيتحدث عن بشرية المسيح بطريقة أخرى غير طريقة بناء الفكرة على ما يؤمن به المخاطب ، فالسياق في سورة مريم يتحدث عن معجزة الميلاد بلا أب ، وهو أمر هيّن في قدرة الخالق فبشرية المسيح في سورة مريم تأتي من كونه عدماً ثم طفلاً يحتاج الرعاية والحفظ من الله تعالى ، فالمسيح وأمه عليهما السلام يفتقران إلى الله تعالى ، قبل ولادة مريم عليها السلام ، وأثناء الولادة ، وبعدها مع قومها .

وذلك كله توجيه للمخاطب إلى بشرية المسيح عليه السلام بالتركيز على افتقار المسيح عليه السلام إلى الله تعالى وحفظ الله له وعنايته به ، وهو داعي العدول إلى إضافة الموصوف (قول) إلى الصفة (الحق) بعد ذكر المسيح عليه السلام ، للدلالة على حفظ الله تعالى ورعايته للمسيح ، إذ أن المسيح عليه السلام يفتقر إلى مالكه كما ينسب المضاف إلى مالكه (المضاف إليه) .

فسياق التركيب الوصفي (القصص الحق) جاء بما يؤمن به المخاطب كحق يوصل إلى بشرية المسيح ، فالتركيب الوصفي يؤدي المعنى في صورته الأصلية ، وسياق التركيب الإضافي (قول الحق) جاء مع افتقار المسيح لله تعالى، لأن المسيح بشر، فجاءت الإضافة دالّة على إحاطة المضاف من المضاف إليه .

- خـــــــير :

أضيف الموصوف إلى الصفة "خير " في التركيب الإضافي " أذن خير " وذلك في قوله تعالى :﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ (التوبة : ٦١) ويفسر الزمخشري معنى التركيب الإضافي بقوله: ((الأذن : الرجل الذي يصدّق كل ما يسمع، ويقبل قول كل أحد ، سُمّيٍ بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ..." وأذن خير "كقولك "رجل صدق" ، تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن، ولكن نعم الأذن ... وقُرئ " أذنٌ خيرٌ لكم ")) [٤٥] ومعنى التركيب الإضافي يبيّن أن أصله التركيب الوصفي " أذنٌ خيرٌ " فالمراد وصف الأذن بالخير وذلك على أحد معنيين :

١-أنه صلى الله عليه وسلم لا يسمع إلا خيرا ، فالأذن موصوفة بالخير ، وذلك من باب المشاكلة ، فلفظ أذن قالوه ذمّاً فجعله الله تعالى مدحا بوصفه " خير ".

٢-أنه صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقوله المنافقون ، فهو " أذن " وذلك خير لهم وللمؤمنين ، إذ يسمع رسول الله أعذار المنافقين فيقبلها ويأذن لهم ، وفي ذلك خير كما يقول تعالى﴿ وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ *لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ﴾ (التوبة : ٤٦، ٤٧).

وجاء العدول عن التركيب الوصفي إلى التركيب الإضافي ليكتسب معنى التركيب الوصفي دلالة أن الموصوف محاط بالخير وملك للخير ، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بطبيعته البشرية يسمع كل ما يقال فهو أذن ، فإن الله حفظه لمقام النبوة ، فأحاطت بجوارحه الخير ، فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم إلا الخير ، فإذا كانت حجة المنافقين ألحَن من غيرهم فإنه صلى الله عليه وسلم وحي يوحي ، يسمع منهم ولا ينطق عن الهوى ، فإن كاد أن يركن إليهم ثبته الله تعالى على الحق .

ودلالة حفظ الوحي وإحاطته من الله تعالى يناسب حديث السياق عن رغبة المنافقين في استمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات ، يقول تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (التوبة : ٥٨) فرسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كل ما يأتيه من صدق أو كذب ولا يكون منه إلا ما أوحى الله تعالى إليه.

فالعدول إلى الإضافة مراعاة لدلالة السياق على استماع رسول صلى الله عليه وسلم للمنافقين مع حفظ الله تعالى له صلى الله عليه وسلم من الضرر الذي يريده المنافقون ، وجاء هذا المعنى بصيغة الإضافة لدلالتها على أن المضاف إليه (الصفة) يمتلك المضاف (الموصوف) وهو الدال على إحاطة الله تعالى لنبيه ، وتملّك عصمة النبوة للطبيعة البشرية .

- صـــــــدق :

جاءت الصفة " صدق " مضافاً إليه ثمانيَ مراتٍ ، وذلك للموصوفات الآتية :-

قَدَم ، مبوّأ ، مدخل ، مخرج ، لسان ، وعد ، مقعد .

١- فكانت إضافة " قدم صدق " في قوله تعالى:

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (يونس :٢) .

ويقول الزمخشري عن معنى " قدم " في التركيب الإضافي : ((أي سابقةً وفضلاً ومنزلةً رفيعة ، فإن قلت لم سُميت السابقةُ قَدَمًا ؟ قلتُ : لما كان السعي والسبق بالقدم سميّت المسعاةُ الجميلة والسابقة قدماً))[٤٦] ويُبيّن الألوسي أصل التركيب الإضافي " قدم صدقٍ " وفائدة

الإضافة بقوله: ((وصرّحوا –هنا– بأن الإضافة من إضافة الموصوف إلى الصفة ، والأصل: "قدمًا صدقًا" أي محققة مقررة ، وفيه مبالغة لجعلها عين الصدق ثم جعل الصدق كأنه صاحبها))[٤٧] وهكذا تكون فائدة العدول إلى الإضافة ما ذكره الألوسي من اكتساب لمعنى الملكية "كأنه صاحبها" وإحاطة الصفة بالموصوف عملاً وجزاءً .

فآية التركيب الإضافي " قدم صدقٍ " في سورة يونس المكية تستنكر تعجب الناس من أن يوحي إلى رجلٍ منهم ، ثم تبشر المؤمنين بأن لهم قدمَ صدقٍ ثم تُختم الآية بإنكار الكافرين للوحي ، فالمؤمنون صدّقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من وحى ، بينما تعجب غيرهم ، وكذب الكافرون ، فكان للمؤمنين يقين قوى يصمد أمام جمع الكفار ، وهو يقين سابق على غيره ، فهم السابقون بالإيمان والتصديق .

فالبشارة من الله تعالى جزاء للمؤمنين يدلّ على عملهم ، فالقدم تدل على الثبوت والسبق كما أن يقينهم ثابت ، ولهم سبق في سرعة الإيمان مع كثرة المكذبين قبل الهجرة ، وهو يقين محاط بالإيمان ونابع منه ، فجاء الجزاء محاطا بالصدق وملكاً له ، وذلك بالعدول إلى إضافة الموصوف إلى الصفة .

٢– وفى سورة يونس تتكرر الإضافة إلى " صدق " لكن هذه المرّة لمكان في الدنيا ، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (يونس:٩٣) ويفسّر الزمخشري تركيب " مبوّأ صدقٍ " بقوله: ((أي منزلا صالحًا ومرضيًا ، وهو مصر والشام))[٤٨] ويعلّل الرازي سبب وصف هذا المكان بالصدق بقوله :((والسبب فيه : أنّ ذلك الشيء إذا كان كاملا في وقته صالحا للغرض المطلوب منه ، فكل ما يُظنّ فيه من الخبر فلابدّ وأن يصدق ذلك الظنّ))[٤٩] .

وسورة يونس تتحدث عن استخلاف الأقوام بعد إهلاك السابقين ، ففي أول السورة يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس:١٣–١٤) ولا تذكر السورة من الأنبياء إلا نوحا وموسى ويونس .عليهم السلام بعد الحديث عن القرآن الكريم والوحى للرسول صلى الله عليه وسلم ، لتضرب السورة بذلك مثلاً لفئتين هما :

١- فئة الكفر التى أغرقت (قوم نوح وقوم فرعون) .

٢- فئة الإيمان التى نجت (من آمن بنوح وبموسى عليهما السلام وقوم يونس عليه السلام).

وجزاء من آمن بنوح عليه السلام الاستخلاف في الأرض ، يقول تعالى ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ ﴾ (يونس : ٧٣) وكذلك جزاء من آمن بموسى عليه السلام الاستخلاف في مصر .

وقد جاء الأمر من الله تعالى للمؤمنين بموسى عليه السلام قبل غرق فرعون بأن يجعلوا بيوتا للإيمان في مصر ، يقول تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس : ٨٧) فبيوت المؤمنين في مصر أصبحت قبلة بما لها من قداسة للمكان تذكّر بمقام إبراهيم عليه السلام .

يقول الزمخشرى في تفسيره لهذه الآية الكريمة :(("قبلة " أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة))[٥٠] فكان عمل من آمن بموسى عليه السلام محاطًا بالإيمان (الصدق) ونابعًا منه ، ولذلك جاءت البشارة لهم بقوله ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ في الآية (٨٧) كما سبق

وأن بشر المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم في أول السورة مع تركيب " قدم صدق " ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾ (يونس:٢) فالبشارة جاءت للمؤمنين بالقرآن بأن لهم قدم صدق، والبشارة جاءت للمؤمنين بموسى على الرغم من عداء فرعون وبطشه ، ليكون جزاؤهم مبوّأ صدق، أي مكانا محاطا بالصدق كعملهم مع قلتهم وغلبة عدوّهم .

وتبيّن الآيات أن الله تعالى قد استخلف بني إسرائيل على مصر ، وقد كانت مصر جنات مليئة بما تركه فرعون ، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً ﴾ (يونس: ٨٨) ويذكر القرآن الكريم ما تركه فرعون بوصفه جنات ومقام كريم ، يقول تعالى ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (الدخان : ٢٥ – ٢٨) فالجزاء بجنات مصر (مبوّأ صدق) في سورة يونس مثل محسوس في الدنيا للجزاء بجنات الآخرة (قدم صدقٍ) في أول سورة يونس ، وكلاهما من الله تعالى للمؤمنين الثابتين على الإيمان مع قلتهم أمام الكفار ، فالسورة تتحدث عن مواجهة بين المؤمنين المستضعفين وجمع الكفار ، فكان العدول إلى إضافة الموصوف " قدم" أو "مبوأ " إلى الصفة "صدق" لدلالة الإضافة على أن الجزاء المُبشّر به ملك للصدق في تحقق البشارة كما أن العمل نبع من الصدق وأحاطه الصدق وتمكن منه .

٣، ٤ – وجاء الوصف " صدق " مضافاً إليه الموصوف في التركيبين "مدخل صدقٍ" و"مخرج صدق" في آية واحدة في سورة الإسراء ، يقول تعالى : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً * سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً * أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا * وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا * وَقُلْ جَاء

الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٧٦ – ٨١) وقد فسر الزمخشرى دعاء " ربى أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق " بقولــه: ((أي أدخلني القبر ، مدخل صدق: إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات ، وأخرجني منه عند البعث إخراجا مرضياً ملقًى بالكرامة ، آمنا من السخط – يدلّ عليه ذكره على أثر ذكر البعث – وقيل : نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة ، وقيل : إدخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح ، وإخراجه منها آمناً من المشركين))[٥١] ومثله ما ذكر الرازي وزاد عليه : ((أدخلني في الصلاة وأخرجني منها مع الصدق))[٥٢] ومع صلاح هذه التأويلات لمعنى " مدخل صدقٍ " " ومخرج صدق " إلا أن ما قيل من دلالة مدخل صدق ومخرج صدق على الهجرة إلى المدينة هو ما يُظهر إفادة السياق من دلالة إضافة الموصوف إلى الصفة على إحاطة الصفة بالموصوف وتملكها الموصوف ، وهو ما ذكره ابن كثير فيما هو مأثور ، يقول ابن كثير: ((عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة ، فأنزل الله ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه ، فأراد الله قتال أهل مكة ، أمره أن يخرج إلى المدينة))[٥٣].

ويفيد هذا التفسير أن " مدخل صدقٍ " كان إلى المدينة النبوية ، أو أنه يفيد معنى مأخوذا منه هو : أن " مدخل صدقٍ " كان بالدخول أولاً إلى المدينة النبوية ، ثم كان " مخرج صدقٍ " بعدها بالخروج من المدينة النبوية إلى مكة المكرمة لفتحها . (وهو يجمع بين رأيين ذكرهما الزمخشري)

وهو يناسب ما ذكره ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١) وهذه الآية في سياق " مدخل صدقً " "ومخرج صدق" يقول ابن كثير: ((الآية تهديد ووعيد لكفار قريش ....عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : " جاء الحق وذهب الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد "))[٥٤] وهو ما يؤكد دلالة " مخرج صدقٍ" على الخروج من المدينة فتحاً لمكة .

وتفسير " مدخل صدق " و "مخرج صدق" بالدخول إلى المدينة هجرة إليها ، والخروج منها فتحاً لمكة مناسب لما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء (موضوع السورة) إذ أن الإسراء كان خروجًا من مكة بالدخول إلى المسجد الأقصى والعروج إلى سدرة المنتهى ثم الرجوع (الخروج) إلى مكة ، والرحلة دخولاً وخروجاً كانت صدقاً ، وتصديقا للرسول صلى الله عليه وسلم.

وأن يكون معنى " مدخل صدق " و " مخرج صدق " الدخول إلى المدينة والخروج منها لفتح مكة هو الأقرب إلى سياق التركيبين ، فالسياق يتحدث عن رغبة الكفار في إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من الأرض ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ ﴾ (الإسراء: ٧٦) فقد نزلت هذه الآيات في وقت قوة الكفار وظلمهم للمسلمين في مكة، فكان الأمر بالدعاء بـــ "مدخل صدق" و "مخرج صدق" ، وكانت الإجابة بعدها بالهجرة ، ولتكن المدينة النبوية هي المدخل والمخرج ، والمدّة الزمنية بين هذه الآيات في سورة الإسراء وبين الهجرة إلى المدينة مدة قليلة ، فقد ذكر صفيّ الرحمن المباركفورى أن أصحّ الأقوال في تعيين زمن الإسراء ثلاثة أقوال ((قيل قبل الهجرة ستة عشرة شهرا ... وقيل قبل سنة وشهرين ... وقيل قبل الهجرة بسنة))[٥٥]

فالمدينة النبوية هي التي آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحاطت به وآوته ونصرته ، فكانت هي مدخل الصدق الذي صدق رسول الله حينما كذبه أهله ، وكانت هي مخرج الصدق إذ خرج منها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وهى معه تصدّقه وتناصره وتحيط به ، فكان خروجه منها من مخرج صدق .

وإذا كان سياق "مدخل صدق" و "مخرج صدق" يتحدث عن استفزاز كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه من الأرض ، فوعده الله بمدخل صدقٍ ومخرج صدق ، فإن السورة نفسها تتحدّث عن مثلٍ لاستفزاز الكفار للمؤمنين ، فتتحدث عن استفزاز فرعون لبني إسرائيل فنجاهم الله تعالى وأسكنهم الأرض ، يقول تعالى : ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء :١٠٣– ١٠٤) فالسورة تبين من استعمال لفظ " يستفزهم" وجود شبه في معاملة فرعون لبني إسرائيل بمعاملة كفار مكة للرسول والمؤمنين ، إذ إنهم كادوا ليستفزونه من الأرض .

هذه المعاملة التي كانت من كفار مكة قابلها الله بمدخل صدق ومخرج صدق لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ومعاملة فرعون لبنى إسرائيل قوبلت بأن أسكنهم الله الأرض – كما ذكرت سورة الإسراء – وبأن بوّأهم الله مبوأ صدقٍ كما قالت سورة يونس ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ (يونس : ٩٣) فالإضافة إلى "صدق " كانت جزاءً للمستضعفين من كفار مكة في مدخل صدق ومخرج صدق وللمستضعفين من فرعون في مبوّأ صدق ، وكانت وعداً للمستضعفين من كثرة المكذبين بالقرآن في أول سورة يونس ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ

الْكَافِرُونَ إِنّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (يونس : ٢) فأن يكون " مبوأ صدق " للمستضعفين من فرعون وأن يكون " قدم صدق " للمستضعفين من كثرة المكذبين يؤكد أن "مدخل صدق" و "مخرج صدق" للمستضعفين في مكة .

فالسورة والسياق يدلان على أن المراد بمدخل صدق ومخرج صدق الدخول إلى المدينة والخروج منها . وفى كليهما استدعت إحاطة المدينة بالرسول صلى الله عليه وسلم (مصدّقة له دون غيرها ، وناصرة له عند خروجه منها لا طاردة له) إضافة الموصوف إلى الصفة (صدق) لتدلّ الإضافة على إحاطة الصفة (صدق المدينة) بالموصوف (مكان دخول وخروج الرسول صلى الله عليه وسلم) وتمكن الصدق من هذا المكان (المدخل والمخرج) وهو المدينة النبوية .

٦- وجاء التركيب الإضافي " لسان صدقٍ " مرتين ، وفى كليهما اختص التركيب الإضافي بنبي الله إبراهيم عليه السلام ، فقد جاءت التركيب الإضافي مرّة في دعاء إبراهيم عليه السلام والمرّة الأخرى جزاءً من الله تعالى له عليه السلام ، ليفيد بذلك إجابة الدعاء ، وكلا المرتين بعد حوار إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه ودعوته لهم إلى التوحيد ، وتوعدهم بعذابه عليه السلام .

وقد جاء المرة الأولى في سياق يصف صدق إبراهيم عليه السلام ، يقول تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنّهُ كَانَ صِدّيقًا نّبِيًّا﴾ (مريم : ٤١) يقول الزمخشري :((والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله))[٥٦].

ثم يتحدث السياق عن دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه لعبادة الله وحده ، واعتزاله عليه السلام ما يعبدون من دون الله وجزاء الله تعالى له ، يقول تعالى : ﴿ فَلَمّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا

يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (مريم : ٤٩–٥٠) وقد فسر الزمخشرى التركيب الإضافي بقوله:((لسان صدق: الثناء الحسن))[٥٧] والتركيب الإضافي " لسان صدق " عائد على إبراهيم وذريته (إسحاق ويعقوب) عليهم السلام .

وقد جاءت المرة الثانية في دعائه عليه السلام يقول تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ* وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (الشعراء:٨٣ – ٨٥) وهنا يُفسّر الرازي " لسان صدق " بقوله عن إبراهيم عليه السلام : ((أنّه سأل ربّه أن يجعل من ذريته في آخر الزمان من يكون داعياً إلى الله تعالى ، وذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم))[٥٨] وتظهر فائدة العدول إلى إضافة الموصوف " لسان " إلى الصفة " الصدق " من اختصاص هذا التركيب " لسان صدق " بإبراهيم عليه السلام مرتين ، مرة يعود فيها لذريّته إسحاق ويعقوب ، ومرّةً لذريّته . في الآخرين أي محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد يبدو أنه وصف بالثناء الحسن – كما ذكر الزمخشرى – لصدقه عليه السلام في دعوته لأبيه وقومه ، أو لتصديقه الرؤيا مع ابنه ، أو أن " لسان صدق " كان دعاء إبراهيم عليه السلام كاستغفار منه لما جاء ذكره عن اضطراره عليه السلام للكذب ، يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ (الأنبياء: ٦٣) : ((وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون وأنّ هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد))[٥٩] لكن يوجد غرضٌ آخرُ لاختصاص هذا التركيب الإضافي إبراهيم عليه السلام يظهر فائدة العدول إلى الإضافة، وهو مأخوذ من لفظ " لسان " ، إذ من معاني " لسان " في القرآن الكريم : لغةُ الوحي، يقول تعالى ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل : ١٠٣) فقد جاء التركيب الإضافي في موضعيه جزاءً لإبراهيم عليه السلام بعد دعوته إلى

الحنفية ، بأن رزقه الله تعالى ذرية صالحة جعل الوحي بلسانها إلى يوم الدين ، فكان الوحي بلسان إسحاق ويعقوب وبنيه وبلسان إسماعيل وذريته إلى خاتم الرسل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

فأن يكون تركيب " لسان صدقٍ " مختصاً بإبراهيم عليه السلام فهو مراعاة لأمر آخر غير صدقه هو عليه السلام ، فصدق إبراهيم جاء وصفه في السياق التركيب الإضافي بقوله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (مريم :٤١) أما داعي اختصاص إبراهيم عليه السلام بالتركيب الإضافي "لسان صدق" هو : أن جعل الله سبحانه وتعالى من ذريّة إبراهيم عليه السلام من نزل عليه الوحي ، فجاء الوحي بلسان ذرية إبراهيم عليه السلام ، وهو لسان لا ينطق عن الهوى ، وإنما لسان صدق ينطق بالصدق ، ويأتي من الصدق ، فمصدره الصدق ، ومحاط بالصدق .

ويلاحظ أن تركيب "لسان صدق" جاء مرتين : الأولى في سورة مريم مع ضمير الغائبين العائد إلى إسحاق ويعقوب ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ ﴾ دون ذكر إسماعيل عليه السلام ، والثانية مع لفظ الآخرين لتدلّ على لسان صدق في آخر الزمان بالوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم (وهو ذرية إسماعيل) كما فسر الرازي التركيب الإضافي في هذا الموضع في سورة الشعراء ، ليؤكد ذلك دلالة "لسان صدق" على الوحي ، فقد كان الوحي لذرية إبراهيم بإرسال إسحاق ويعقوب (إسرائيل) وذريتهما ، وكان في آخر الزمان في العرب من ولد إسماعيل ، فيمثل " لسان صدق " لغتي الوحي .

فداعي العدول عن التركيب الوصفي إلى إضافة الموصوف (لسان) إلى صفته (صدق) أن المعنى المراد : لسان الوحي من ذرية إبراهيم عليه السلام أي لغة الوحي ،

فناسبت الإضافة معنى إحاطة اللسان بالحق (الصدق) لأنه وحى من السماء .

٧- وقد جاء تركيب " وعد الصدقّ " في قوله تعالى ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (الأحقاف: ١٦) وداعي العدول إلى الإضافة تحقّق وقوع الصفة بتحقّق دخول الجنة بعد انتهاء الحياة الدنيا.

٨- وجاءت الصفة (صدق) مضافاً إليه مع دلالة الجزء الحسن المحفوظ والمتحقق للمؤمنين، وذلك في تركيب (مقعد صدق) في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(القمر: ٥٤ ، ٥٥) فالله تعالى يصف حال المؤمنين في الجنة وقد تحقق لهم وعده .

وعن المعنى المراد من الصفة " صدق " يقول عز الدين بن عبد السلام : ((التجوّز بالصدق عن الشرف والحسن))[٦٠] فإذا كان الصدق تجوّزاً يدل على معاني الشرف والحسن ، فإنه في الآية الكريمة يدل على الصدق من الله تعالى في الجزاء الموعود للمؤمنين الصادقين في العمل بتقوى الله عز وجل في السر والعلن ، فالمؤمنون في جنات ونهرٍ ومقعد خالدٍ عند مليك مقتدر ، وهو جزاء يرضيهم ، لذلك يفسّر الزمخشرى (مقعد صدق) بقوله: ((مكان مرضي))[٦١] فهو صدق حقيقي في الجزاء للصدق في العمل .

والمقعد جزاء دائم يدل بلفظه على المكان الثابت في الجنة ، يقول السيوطي أنه:((للإشارة إلى أنه لا زوال له ، بخلاف ﴿ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾ (المجادلة :١١) لأنه يجلس فيها زمناً يسيراً))[٦٢] فهذا المقعد بما يصوره من مكان دائم مخصصٌ لصاحبه في حضرة الله تعالى ، دون هيبة وإنما بلذة الحضور ، كما يوحى بذلك صيغة اسم الجلالة (مليك) الذي لم يأتي إلا في هذا الموضع ، على غير اسم الجلالة (الملك) الذي يحمل دلالة الهيبة، فمثلاً

جاء في القرآن الكريم مع علو الله تعالى ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ (طه:١١٤) .

وعليه فإنّ هذا الجزاء أعظم من غيره من صنوف النعيم في الجنة ، فالنعيم في الجنة يكون بما لذّ وطاب من صنوف لها مثيل في الدنيا مع الفرق الكبير بين نعم الدنيا ونعم الجنة ، أمّا تخصيص مقعدٍ للمؤمن للجلوس عند الله تعالى بين يديه ، هو من أعظم ما يكون في الجنة للمؤمن ، ولذلك احتاج هذا التصور إلى الإضافة ، إذ أن هذا المقعد المخصّص والمملوك للمؤمن الصادق ، يدلّ عليه تخصيص الجزاء (المقعد) بالصدق (المضاف إليه) وإحاطة الجزاء بالصدق ، ليتملّك الصدق المقعد ، كما يتملّك المؤمن المقعد .

فالعدول إلى الإضافة للدلالة على حفظ الجزاء الموعود ، وللدلالة على أن الجزاء (المضاف) من عمل الصدق ، فالجزاء من جنس العمل ، وليدل على أن الصدق يمتلك الجزاء كما أن المؤمن يمتلك مقعداً عند الله تعالى .

ففيما سبق تحليل التراكيب الثمانية التي جاءت فيها إضافة الموصوف إلى صفته (صدق) فكانت كما يلي:

١- قدم صدق: (في سورة يونس) لجزاء الله المحفوظ للمؤمنين المستضعفين من المكذبين بالقرآن الكريم .

٢- مبوّأ صدق: (في سورة يونس) مثلاً من الله تعالى لجزائه الحسن الذي أعطاه لمن آمن من بني إسرائيل بعد استضعافهم من فرعون .

٣ ، ٤ – مدخل الصدق، مخرج صدق : (في آية واحدة في سورة الإسراء) جزاءً للرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيذاء (استضعاف) كفار مكة له وللمؤمنين ، وهو جزاءٌ بالدخول إلى المدينة لتحيط به وتنصره ، والخروج منها ــ وهى تحيطه ــ لفتح مكة ،

فهو دخول وخروج لنصر وعزة .

٥- لسان صدق: (في سورة مريم) جزاءً من الله تعالى لنبيه إبراهيم ، أن وهب له إسحاق ويعقوب وجعل الوحي بلسانهما (لغتهما) فكان لسانهما محاطاً بالصدق من الله تعالى .

٦- لسان صدق : (في سورة الشعراء) دعاءٌ من إبراهيم عليه السلام بأن يكون له لسان صدق في الآخرين ، فكان جزاء الله تعالى له أن أجاب دعاءه وجعل الوحي من ذرية ولده إسماعيل في رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو وحي محفوظ من الله تعالى .

٧- وعد الصدق: (في سورة الأحقاف) بعد دعاء المؤمنين لأنفسهم ولآبائهم المؤمنين وذريتهم المؤمنة فيأتي جزاء الله تعالى لهم بأن تَقَبّل أحسن ما عملوا وتجاوزا عن سيئاتهم فأدخلهم الجنة وتحقق لهم الوعد ، فأصبح جزءاً من الصدق ، كما أن عملهم كان جزءاً من الصدق.

٨- مقعد الصدق : (في سورة القمر) وفيه يصف الله تعالى الجزاء الحسن للمؤمنين بزيادة إكرامهم فهم في مقعدٍ (جلوس دائم) ، عند الله تعالى فتحقق للمؤمنين إكرام الله لهم بعد أن تحقق وعده لهم بدخول الجنة .

ومن خلال التحليلات السابقة تبدو ملاحظتان :

الملاحظة الأولى : أن المواضع الثمانية يكمّل بعضها بعضاً ، فكل اثنين في مجموعة ، وكل مجموعتين بينهما ترابط ، هذه المجموعات الأربعة هي :-

أ) مجموعة جزاء الله تعالى المحفوظ للمؤمنين المستضعفين من الكفار ، وفيها: (قدم صدق) للمؤمنين بالقرآن ، (مبوّأ صدق) لمن أمن بموسى وهم المستضعفون من فرعون.

ب) مجموعة حفظ الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم المستضعف في قومه (كفار

مكة) وفيها :(مدخل صدق ومخرج صدق لنصرته بالهجرة) وإقامة دولة الإسلام ثم نصرته بالفتح .

ج) مجموعة جزاء الله لإبراهيم عليه السلام بالوحي المحفوظ على لسان ذريته ، وفيها : (لسان صدقٍ علياً) لإسحاق ويعقوب عليهما السلام ، (لسان صدقٍ في الآخرين) لمحمد صلى الله عليه وسلم .

د) مجموعة جزاء الله المؤمنين بجمعهم مع آبائهم وذريتهم في الجنة ثم بجمع المؤمنين عند الله تعالى إكراماً لهم وفيها : (وعد الصدق) مع دعاء المؤمنين لآبائهم وذريتهم فكان جزاؤهم أن أدخلهم الله الجنة ، (مقعد صدق) إكراماً للمؤمنين بعد دخلوهم الجنة ، بأن يكونوا في حضرة الله تعالى بما يفيد الجلوس والاجتماع عند الله تعالى ، كما هو اجتماعهم مع أهليهم في الدنيا في مجالس الإيمان .

فالمجموعة الأولى (جزاء الله للمستضعفين من المؤمنين) تماثل المجموعة الثانية (جزاء الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم) بعد استضعافه في مكة .
والمجموعة الثالثة (الوحي بلسان ذرية إبراهيم دعاءً منه وجزاءً له ولذريته إسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمد عليه السلام) تماثل المجموعة الرابعة (جزاء الله للمؤمنين بعد دعائهم لذريتهم بأن جمعهم الله في جناته وقربهم إليه في حضرته كما قرب الأنبياء بالوحي إليهم) .

والملاحظة الثانية :

أن كل مجموعة من المجموعات الأربع تتكون من تركيبين أحدهما يسبق الآخر زمناً.
ففي المجموعة الأولى يأتي تركيب " قدم صدق عند ربهم " للمؤمنين المستضعفين من المكذبين

بالقرآن الكريم متأخر زمناً عن " مبوّأ صدق " الذي جاء لمن آمن من بني إسرائيل بأن أسكنهم الله تعالى جنات مصر بعد هلاك فرعون ، فقدَم صدقٍ للمؤمنين بالقرآن فهم بعد بنى إسرائيل بزمن ، وقدم صدق للجزاء عند الله وهو بعد جزاء الله في الدنيا بجنات مصر .

وفى المجموعة الثانية يأتي تركيب (مدخل صدق) للدخول إلى المدينة هجرة إليها ، وتركيب (مخرج صدق) للخروج منها فتحاً لمكة ، وبين الهجرة والفتح مدّة زمنية .

وفى المجموعة الثالثة: جاء تركيب (لسان صدق علياً) للسان الوحي إلى إسحاق ويعقوب، وجاء تركيب (لسان صدق في الآخرين للسان الوحي المتأخر إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فبين الوحي إلى إسحاق ويعقوب والوحي إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (عليهم السلام) مدّة زمنية .

وفى المجموعة الرابعة : جاء تركيب " وعد الصدق " بعد دعاء المؤمنين في الدنيا ، ليفيد تحقيق الجزاء بأن تقبل الله عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم فأدخلهم الجنة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (الأحقاف :١٦) .

فهو جزاءٌ بدخول الجنة بعد الحساب ، أما تركيب " مقعد صدق عند مليك مقدر " فهو زيادة إكرام للمؤمنين بعد دخول الجنة وانتهاء زمن الحساب ، فالجلوس في حضرة الله تعالى بعد زمن الحساب ودخول الجنة .

فصفة " صدق " المضاف إليها موصوفها –مع توزيع مواقع تواجدها في القرآن الكريم– مترابطة في كل هذه المواضع ، لتؤدي دلالتها في تناسق محكمٍ وإطار متماسك ، ليؤكد هذا الترتيب المنظّم في المعنى على أن العدول إلى التركيب الإضافي له دلالة يريدها

السياق، إحاطة الجزاء الحسن للمؤمنين بجنس عملهم **(الصدق)** ، فجزاؤهم – وإن تأخر– ملك للصدق وجزء منه .

- القـــــدس :

ومن إضافة الموصوف إلى صفته تركيب " روح القدس " ، ويقول الزمخشري أن معنى قوله تعالى ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (البقرة :٨٧) أي : ((بالروح المقدسة ، كما تقول : حاتمُ الجودِ ورجل صدقٍ ، ووصفها بالقدس كما قال ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (النساء: ١٧١) فوصَفَه بالاختصاص والتقريب للكرامة ، وقيل لأنّه لم تضمُّه الأصلاب ولا أرحام طوامث. وقيل: بجبريل ، وقيل: الإنجيل ، كما في القرآن ﴿ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ (الشورى: ٥٢)))[٦٣].

فالزمخشري يرد التركيب الإضافي إلى أصله " الروح المقدسة " ويبيّن أن علّةَ وصف الروح بالقدس تكريم المسيح عليه السلام أو أنّ المراد بالروح جبريل عليه السلام أو الإنجيل ، ومعنى ذلك أنّ الزمخشري يرى أن صفة " القدس " لها صلة بالله عز وجل ، فتنسب الروح إلى القدس في التركيب الإضافي كما تنسب الروح إلى الله عز وجل في قولـــه تعالى : ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (النساء: ١٧١) .

لكن الزمخشري – على الرغم من تفسيره للتركيب الإضافي بالتركيب الوصفي– لا يتحدث عن أثر الإضافة وإنما يتحدث عن معنى الصفة " قدس " أمّا الألوسى فإنه يصرح بنوع الإضافة ويرى أن ذلك لفائدة بلاغية ، فيقول : ((والإضافة من إضافة الموصوف إلى الصفة للمبالغة في الاختصاص))[٦٤]

وقد جاء تركيب " روح القدس " أربع مرات في القرآن الكريم ، ثلاث منها في شأن

المسيح عيسى عليه والسلام في سياقات تتحدّث عن عداء اليهود لعيسى عليه السلام والرغبة في قتله ، يقول تعالى :

١- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُـــكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة: ٨٧) .

٢- ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم ﴾ (البقرة : ٢٥٣) .

٣- ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ القُدُسِ ﴾ (المائدة : ١١٠) .

أما المرّة الرابعة التي جاء فيها التركيب الإضافي " روح القدس " فهي في خطاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في سياق نفي الافتراء على الله تعالى والردّ على من ادّعى أن القرآن الكريم معلّم من أعجمي نصراني، أي أنه ردّ على ادّعاء أخذه من الإنجيل، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون* قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة ١٠١-١٠٣) .

فالآيات إذ تنفي أن يكون القرآن مأخوذاً من الإنجيل ، تأتي بتركيب "روح القدس" (الدال على الإنجيل في المواضع الأخرى) ليكون " روح القدس " مُبلِّغاً للقرآن من الله تعالى، وهى بذلك تؤكد على أن "روح القدس" الذي أيّد الله به عيسى عليه السلام هو ذاته طريق القرآن الكريم من الله تعالى ، فتردّ الشبه بين القرآن الكريم والإنجيل إلى أن مصدرهما واحد

(روح القدس من الله تعالى) وتبيّن أن الإيمان بوجود كتب سابقة وحياً من الله أدعى للإيمان بالقرآن كوحي جديد من الله ، لأن الإيمان بوجود الوحي يقبل الإيمان بتجدّده .

فسياقات التركيب الإضافي " روح القدس " تتحدث عن حفظ الله تعالى لرسله وللوحي، وهو ما تناسبه دلالة الإضافة إلى الصفة ، لأن الصفة تحيط بالموصوف (الروح) كما أن الله تعالى يحيط برسله ووحيه .

ومما يؤكد الحاجة إلى معنى الإحاطة والحفظ استخدامات مادة (قدس) في القرآن الكريم؛ إذا تشترك سياقات صيغ مادة (قدس) في الإشارة إلى بني إسرائيل ، فالفعل الوحيد منها ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (البقرة: ٣٠) جاء على لسان الملائكة قبل خلق البشر ، يتخوّفون من سفك الدماء ، بعدها تتوالى الآيات في الحديث عن " أول كافرٍ " (بني إسرائيل) وما فعلوه من قتل ...

وتركيب " روح القدس " الذي جاء أربع مرات ، جاءت ثلاث مرات منها في شأن عيسى وهو من أراد اليهود قتله ، والرابعة ترتبط به لحديثها عن الإنجيل .

وجاء اسم الجلالة " القدوس " مرّتين : إحداهما في سورة الحشر الآية (٢٣) وهى السورة التي تتحدّث في أوّلها عن إخراج اليهود "لأول الحشر" ، وثانيهما : في سورة الجمعة الآية (١) وهى سورة تختصّ اليهود ــ دون غيرهم ــ بالحديث عنهم وذمّهم .

وجاءت صفة " المُقدّس " مرتين للوادي الذي نودي فيه موسى ــ عليه السلام ــ في سورة طه الآية (١٢) وسورة النازعات الآية (٢٦) ، وصفة " المُقدّسة " مرّةً واحدةً وصفاً للأرض التي أمر اليهود بدخولها ،في سورة المائدة الآية (٢١).

فمادة (قدس) في القرآن الكريم جاءت مع الإشارة إلى اليهود ، وإيذائهم لأنبيائهم

وعلاقتهم بالقتل والافتراء على الله تعالى وهو ما يؤكد الحاجة إلى معنى الحفظ والإحاطة في سياقات التركيب الإضافية ((روح القدس)) .

فالتركيب الوصفي (الروح القدس) يدلّ على أن الروح منزّهة في ذاتها ، فهو وصف عائد إلى الروح ، يناسب الحديث عن رفعة الروح في ذاتها، أما العدول إلى التركيب الإضافي (روح القدس) فلأنه يدل على حفظ الله القدوس للروح من شرّ اليهود ، لنسبة الروح (عيسي والوحي بالقرآن) إليه سبحانه .

- القيّمـــــــة :

جاءت الصفة " القيمة " مضافا إليها الموصوف في تركيب " دِين القيّمةِ " وذلك مرة واحدة في القرآن الكريم ، في قوله تعالى :﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة : ٥) وعن وصف الدين بالقيمة يقول الزمخشرى: ((أي دينُ الملّةِ القيمةِ ، وقُرئ ﴿ وَذَلِكَ الدِينُ الْقَيِّمَةُ﴾ على تأويل الدين بالملّة))[٦٥] فتركيب " دين القيّمةِ " عدول عن التركيب الوصفي.

وقد جاء الوصف " القيّم " صفة معرفة أربع مرات ، ونكرة مرتين ، ومضافاً إليه مرّة

واحدة ، فقد جاء الوصف " القيم " صفة معرفة في تركيب " الدين القيم " أربع مرات ، وذلك فيما يلى :

١- في قولــه تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (التوبة: ٣٦) والدين القيم : الإسلام، والآية تتحدث عن عدّة الشهور وما هو حُرُمٌ منها ، وإبطال ما كان في

الجاهلية في هذا الشأن .

٢- وفى قولـــه تعالى ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف:٤٠) والآية على لسان يوسف عليه السلام ، ولا يوجد دين وقتها غير ملة أبيه إبراهيم عليه السلام ، وهو ربط بديع بين الإسلام (الدين القيّم) والتوحيد الذي يأمر به يوسف عليه السلام وسمّاه الدين القيم .

٣- وفى قولـــه تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم:٣٠)

٤- وفى قولـــه تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ (الروم:٤٣) وهما مع توجه الخطاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في سياق الردّ على المشركين .

فالمراد بتركيب " الدين القيم " في مواضعه الأربعة الإسلام (أو دين التوحيد) في سياق إبطال الدين القيم لغيره من معتقدات الشرك ، فلا يوجد غير هذا الدين القيم في مقابل معتقداتٍ وليست أدياناً سماوية أخرى ، لذلك عرف الموصوف والصفة .

أمّا تنكير الصفة والموصوف فقد جاء مرتين فيما يلي :

١- قولـــه تعالى ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦١) .

وهى بعد ذكر تشريع الله لأهل الكتاب ما أُحلّ لهم وما حرم عليهم في الآية (١٤٦) ثم رغبة المشركين في أن يكون لهم كتاب مثل الطائفتين (اليهود والنصارى) في الآية (١٥٦) فجاء تركيب " ديناً قيماً " ليفيد النهج القويم الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مع من سبقوه من الأنبياء ، وهو الذي تشترك فيه الأديان السماوية ، وليس موجوداً

عند المشركين ، فجاء التركيب الوصفي " ديناً قيماً " مع إطلاقه دون تعريف لتوافق الإسلام مع الأصول الصحيحة للأديان السماوية الأخرى ، فهو كما تبيّن الآية دين قيمٌ يوافق ملّة إبراهيم عليه السلام.

٢- وجاءت الصفة نكرة في التركيب الوصفي " كتب قيمة " ، وهو في سورة البينة التي تجمع بينه وبين التركيب الإضافي " دين القيمة " ، فالسورة بذلك توضح الفرق بين التركيب الوصفي والتركيب الإضافي لأنها تجمع بينهما ، يقول تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ (البينة : ١ – ٣) فالرسول صلى الله عليه وسلم جاء بما سبق ، والقرآن يتضمّن ما سبقه من الكتب ، والسبب في ذلك أنّ الوحي واحد ، لذا جاء بالتركيب الوصفي" كتب قيمة " .

فالمراد وصف الوحي الجديد (الإسلام) بأنه قيمّ ، وذلك في سياق الإيمان بنزول الكتب السابقة ووجود الوحي السابق ، فالإسلام جاء بالأصول الصحيحة المنزلة في الأديان السماوية .

ومن هنا جاءت ضرورة وجود التركيب الإضافي " دين القيمة " مع سياق التركيب الوصفي " كتب قيمة " الذي يقرّ الأصول الصحيحة في الأديان السماوية . يقول تعالى ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة: ٤- ٥) فالدين الجديد (الإسلام) جاء بعد تحريف أهل الكتاب ، وجاء بالإخلاص والتشريع ، فناسبه التركيب الإضافي " دين القيمة " بما يفيد حفظ الصفة للموصوف وإحاطتها له من التحريف .

يقول الزمخشرى عن قوله تعالى ﴿ وما أمروا ﴾ : ((يعنى في التوراة والإنجيل إلا

بالدين الحنيف ، ولكنهم حرفوا وبدّلوا))[٦٦] فالسياق يبدّل صيغة " **أهل الكتاب** " التي جاءت في الآية رقم (١) من السورة إلى صيغة " **أتوا الكتاب** " في الآية رقم (٤) مع تحريفهم في الدين ، فجاء الحديث عن الإسلام (الدين الجديد) بالعدول إلى الإضافة " دين القيمة " لأنه يريد إظهار تملّك الصفة للموصوف بما يجعله محفوظا من التحريف الذي طال غيره من الأديان السابقة، إذاً عندما يتحدّث السياق في أول السورة عن توافق الإسلام مع غيره من الأديان السماوية في الأصول الصحيحة (مثل مبدأ الوحي من الله تعالى) يأتي بالتركيب الوصفي، وعندما يتحدث السياق نفسه عن اختلاف الإسلام عن غيره من الأديان السماوية يأتي بالتركيب الإضافي؛ لأن التركيب الإضافي يدل على نوع هذا الاختلاف ، وهو حفظ التوحيد الخالص.

وعليه فإن القرآن الكريم جاء بأربع صيغ لوصف " القيم " :

١- " الدين القيم " وتعريف الصفة جاء مع إبطال الدين لغيره من معتقدات الشرك فهو الدين الوحيد ، ولا يتحدّث السياق عن دين غيره ، فالمراد به الإسلام مقابل عقيدة الجاهلية ، أو دين إبراهيم وهو قبل الأديان السماوية المعروفة ، ولذلك عرّف الدين لعدم وجود غيره .

٢- " ديناً قيماً " وتنكير الصفة جاء مع تصريح السياق لموافقة الدين الإسلام لملّة إبراهيم ، فالسياق يجمع بين دينين صحيحين ، فالإسلام مثله مثل ملّة إبراهيم (وهى الأصل الصحيح في الأديان السماوية) فلم يأتِ تحديده بالتعريف .

٣- " كتب قيمة " وهو تنكير للصفة – أيضا – وجاء مع حديث السياق عن موافقة الإسلام لغيره من الأديان في أصل التوحيد ، فالسياق – أيضاً – يأتي بأكثر من دينٍ صحيح قبل التحريف .

ولذلك احتاج السياق إلى وجود الصيغة الرابعة .

٤- " دين القيمة " وهو التركيب الإضافي الذي جاء ليبيّن أن الإسلام وإن وافق غيره من الأديان في أصل التوحيد قبل تحريفها(ولذلك جاء بالتركيب الوصفي " كتب قيمة ") إلا أنه محفوظ ومحاط بهذه الصفة . فهو وإن اشترك مع غيره من الأديان إلا أنه اختصّ بالحفظ من التحريف .

د) العدول عن التراكيب الوصفي مراعاةً لحذف المضاف إليه الفاصل بين الصفة والموصوف :

فقد يعدل السياق في القرآن الكريم عن تركيبٍ وصفيٍ إلى تركيبٍ إضافيّ يقع فيه الموصوف مضافًا إلى الصفة ؛ ليدلّ على وجود مضاف إليه محذوف لغرضٍ دلالي ، وقد حلّت الصفة مكانه ، وهو داعي العدول في تركيب "جانب الغربي" :

- الغربـــــــي :

جاء لفظ " الغربي " صفة أضيف إليها الموصوف في تركيب " جانب الغربي " ، وذلك في قولـــه تعالى :﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشّاهِدِين﴾ (القصص:٤٤)

وقد جاء معنى التركيب الإضافي " جانب الغربي " في القرآن الكريم بتراكيب أخرى هي: جانب الطور ، جانب الطور الأيمن ، شاطئ الوادي الأيمن ، الوادي المقدّس طوى .

ولا يظهر معنى " جانب غربي " إلا بمعرفة معنى الصيغ الأخرى ، فعن صفة " الأيمن " في " جانب الطور الأيمن " " شاطئ الوادي الأيمن " يقول الرازي : ((شاطئ الوادي : جانبه ، وجاء النداء عن يمين موسى من شاطئ الوادي))[٦٧] ويقول النسفي : ((والجمهور على أن

المراد أيمن موسى – عليه السلام – لأنّ الجبل لا يمين له ، والمعنى أنه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة ، وكانت في جانب الجبل على يمين موسى))[٦٨].

وذكر الألوسى معنىً آخرَ ((ويجوز أن يكون الأيمن من اليُمْنِ، وهو البركة ، وهو صفة لجانب – أيضاً – أي من جانبه الميمون المبارك))[٦٩] .

ويفسر النسفي سبب نفى وجود الرسول محمد صلى الله عليه وسلم شاهداً حوار الله تعالى لموسى عليه السلام في جانب الغربي بدلاً من جانب الطور الأيمن ، بأن المراد بالجانب الغربي الجهة المقابلة لجانب الطور الأيمن أي أن المشاهدة تكون في الجهة الغربية المقابلة للجهة اليمنى ، فيقول: ((حتى تقف [يا محمد] من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته))[٧٠] وتدلّ سياقات الآيات على الفرق بين هذه التراكيب .

فقد ذكر نداء الله تعالى لموسى عليه السلام **(من غير الحوار** بينه سبحانه وبين موسى) مع لفظ " الطور " وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِياً * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِياً ﴾ (مريم : ٥١-٥٢) .

٢- ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بَأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارا﴾ (القصص : ٢٩) .

وفي كليهما جاء " جانب الطور " مجروراً بحرف الجر " مِن " وهو يدل على وجود انتقال من شيء إلى شيء .

وذكر نداء الله تعالى لموسى عليه السلام **والحوار بينهما** مع لفظ " الوادي " ، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى*إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١١-١٢) .

٢- ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (القصص: ٣٠) .

٣-﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (النازعات : ١٥-١٧) .

وجاء نفي حضور الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لنداء الله تعالى لموسى عليه السلام مرتين في سياق واحد ، إحداهما مع لفظ " الطور" والثاني مع ملازم الطور وهو لفظ "جانب" يقول تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص : ٤٤-٤٦).

فالملاحظ أن هناك ثلاثة أحوالٍ للمكان:

١- قبل النداء: " جانب الطور " فموسى – عليه السلام – ذهب إلى جانب الطور (وهو اسم الجبل) ليستأنس ناراً فناداه الله من هناك ، كما يوضحه حرف الجر (مِن) ، ولم يكن مع ذكر لفظ "الطور" حوار.

٢- أثناء النداء: يتحوّل المكان الثابت الجبلي إلي شاطئ الوادي المقدس طوى ، وهذه الصفات تدّل على تحوّل المكان ، فالوادي – كما يقول الرازي: ((الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال، الذي يجرى فيه السيول))[٧١].

ويقول الزمخشري عن معنى لفظ " طوى ":((نودي ندائين أو قدّس الوادي كرّة بعد كرّة))[٧٢] كما يدلّ لفظ " طوى " على الستر ، فيقول الرازي : ((الطيّ ضد النشر))[٧٣].

فأثناء النداء يتحوّل المكان الثابت إلى مكان بغير صفته المعهودة ، فالصلابة التي هي صفة معهودة في الجبل تتحوّل إلى رخاوة ، وصفة الرخاوة هي الصفة التي يبيّنها تسمية المكان باسم الوادي ، ومثل هذه الرخاوة هو ما حدث عندما تجلّى الله تعالى للجبل ، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً﴾ (الأعراف :١٤٣) فصلابة الجبل اختفت مع تجلّي الله تعالى للجبل.

٣- بعد النداء: يعود المكان إلى ما كان عليه قبل النداء ، فهو جانب الطور ، أو جانب الغربي بذكر ملازم الطور.

فعند خطاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يكون زمن النداء قد انتهى ، فيوصف المكان بأحد أمرين:

أ- جانب الغربي: ويأتي مع نفي مشاهدة النداء وحضور الحوار .

ب- جانب الطور: ويأتي مع نفي الوجود في المكان .

وكلاهما بـــ " جانب " الملازم للطور وليس بـــ " شاطئ " ملازم الوادي مكان النداء وقت حدوثه.

والآيتان اللتان تنفيان حضور الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إحداهما تنفي وجوده أثناء النداء ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ ، والأخرى تنفى وجوده صلى الله عليه وسلم بعد النداء كما يوضحه لفظ " ثاوياً " فهو نفى للوجود في المكان ، وتوضحه صيغة "إذ نادينا" الدالة على انتهاء النداء ، على غير صيغة "وما كنت من الشاهدين" التي تدلّ على وجود ما يشاهد في المكان .

وجاء "جانب الغربي" مع خطاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعد انتهاء زمن النداء لنفى وجوده أثناء النداء ، فتجمع بين أمرين:

ــ جانب : إشارة إلى المكان بعد انتهاء زمن النداء .

ــ الغربي : تحذف " الطور " لأنّ الحديث عن نفى وجود محمد صلى الله عليه وسلم أثناء النداء، فروعي فيه عدم وجود المكان الجبلي الصلب (الطور) أثناء النداء .

وبهذا توجد لدينا أربعة أنماط :

١- قبل النداء : جانب الطور الأيمن.

٢- أثناء النداء : شاطئ الوادي الأيمن / المقدس طوى .

٣- بعد النداء والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم لنفي حضوره أثناء النداء : جانب الغربي.

٤- بعد النداء والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم لنفي وجوده في المكان قبل النداء أو بعده : جانب الطور.

وهكذا يختفي المكان " الطور " في أثناء نداء الله تعالى وتجليه ، وهو ما يحدث أيضاً يوم القيامة ، يقول تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة:١٤-١٧) والشجرة المباركة التي نودي عندها موسى عليه السلام يَرد مثلها في سورة النور بوصف يجرّدها من المكان ، يقول تعالى ﴿لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ (النور: ٣٥).

فالعدول عن وصف " جانب " بالصفة الغربي في التركيب الوصفي "جانب الطور الغربي" إلى وصف جانب بالصفة " الغربي " في التركيب الإضافي " جانب الغربي ؛ للدلالة على حذف المضاف إليه " الطور " في تركيب " جانب الطور الغربي " ، فلفظ " الطور "

ملازم للموصوف "جانب" ، وحذفه إشارة لعدم وجود المكان في زمن نداء الله تعالى لموسى عليه السلام وحواره تعالى معه ، فحذف ملازم الموصوف وحلّت الصفة محلّه فأصبح الموصوف مضافاً إلى الصفة ، ولم يعدل عن التركيب الوصفي " جانب الطور الغربي " إلى التركيب الوصفي "الجانب الغربي" ، وإنما إلى التركيب الإضافي "جانب الغربي" ليشير إلى حذف المضاف إليه "الطور" .

الفصل الثاني : دواعي إضافة الصفة إلى الموصوف

أ) العدول عن التركيب الوصفي لأن الغرض من الوصف بيان النوع :

الصفة في التركيب الوصفي غرضها أحد أمرين :

١- مدح الموصوف: وهو الأقرب في التركيب الوصفي مثل " الجهاد الحق " لأن لفظ "حق" يدلّ على المدح . ٢- بيان نوع الموصوف : فتبيّن الصفة " الحق " نوع الموصوف ، وأنه ليس النوع الباطل.

ولذلك تأتي إضافة الصفة إلى الموصوف (مثل: حق تلاوته) لإظهار أنّ الصفة نوع من أنواع الموصوف ، وذلك لأن الإضافة في الأصل تكون بين الجزء والكلّ ، وبذلك يُبيّن السياق الغرض من الوصف ، ويُبيّن أن الصفةَ لا تقع على كل أنواع الموصوف ، وهى فائدة العدول إلى التراكيب الإضافية الآتية:

- الحــقّ:

جاءت صفة الحق مضافاً تسع مرات في هذه التركيب الإضافية : (حقّ تلاوته ، حقّ تقاته ، حقّ قدره، حقّ جهاده ، حقّ رعايتها ، حقّ اليقين) فالتركيب الوصفي مثل "الجهاد

الحق" يكون ملبساً في تحديد الغرض من الصفة ؛ لأن معناها المعجمي يدل على المدح ، أما التركيب الإضافي فهو موضوع لإضافة الجزء للكل، مثل: " عنوان الكتاب " ، وهو ما يجعل الإضافة في " حق جهاده " من إضافة جزء (نوع) إلى الكل ، فالتركيب الإضافي يدل على نوع من الموصوف ، هو نوع الحق ، وبذلك أصبح العدول عن التركيب الوصفي إلى التركيب الإضافي غرضه: الدلالة على أن الصفة من باب بيان النوع فهو إظهار لغرض الصفة وأمنٌ من اللبس بأن تكون الصفة دالّة على مطلق المدح ، وهو ما يفيده سياق إضافة الصفة " حق " لموصوفها ؛ إذ يفيد تنّوع الموصوف ، ويراد ما هو حق منه .

وفيما يلي مواضع إضافة الصفة " حق " إلى موصوفها :

١- في قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة : ١٢٠ – ١٢١).

وتركيب " حق تلاوته " هنا في سياق الحديث عن اليهود والنصارى والنهى عن اتّباع ملتهم، ويفسر الرازي الآية بقوله : ((فالتلاوة لها معنيان ، أحدهما: القراءة ، والثاني: الاتّباع فعلا، لأن من اتبع غيره يقال تلاه فعلا ، قال الله تعالى ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ (الشمس:٢) فالظاهر أنه يقع عليهما جميعا ، ويصبح فيها جميعا المبالغة))[٧٤] فأهل الكتاب يتلون الكتاب، لكن أمرَ الله ِللمؤمنين تلاوته حق التلاوة ، فليس المراد الوصف " التلاوة الحقة " بقدر تبيين تنوّع التلاوة من تلاوة مع تحريف وتلاوة توصل إلى التوحيد ، فالتلاوة موجودة عند أهل الكتاب ، والمراد من السياق تنوعها إلى حق وباطل .

٢- في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ١٠١ – ١٠٢)

والتركيب الإضافي " حقّ تقاته " في سياق نهي المؤمنين الذين تتلى عليهم آيات الله تعالى وفيهم رسوله – صلى الله عليه وسلم – عن طاعة أهل الكتاب ، ويأمرهم بالاعتصام بحبل الله جميعا دون تفرّق ، وقد جاء التركيب الإضافي "حق تقاته" عدولا عن التركيب الوصفي كما يقول الألوسي : ((الإضافة من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، وأن الأصل اتقوا الله أتقاء حقا))[٧٥] وداعي العدول هو أنّ المراد من المؤمنين الاتباع المطلق لله ورسوله ، فتقديم الصفة لأنها هي النوع المراد من التقوى ، فالتقوى موجودة مسبقا من المؤمنين ، لكن السياق هنا يريد نوعا خاصا من التقوى .

والعدول إلى إضافة الصفة لحديث السياق عن نوع من الموصوف ؛ هو ما تفيده إضافة الصفة كجزء من الموصوف الذي يتنّوع في السياق إلى حقٍ وباطلٍ ، فالإضافة تكون بين الجزء والكل ، والسياق يأمر بنوع (جزء) أخصّ من التلاوة والتقوى ، فهو نوع يبعدهم عن الهوى واتباع أهل الكتاب ، فالصفة "حق" في التركيب الوصفي (الأصل) مبيّنة للنوع ، وجاء العدول إلى الإضافة ليوضح أنّ الصفة لبيان النوع لا لمطلق المدح .

وثلاثة مواضع من إضافة الصفة " حق " إلى موصوفها جاءت في تركيب " حق قدره " في قوله تعالى :

٣- ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ (الأنعام : ٩١).

٤- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج : ٧٤) .

٥- ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (الزمر: ٦٧) .

وتركيب "حقّ قدره " عدول عن التركيب الوصفي " قدره الحق "، يقول الألوسي عن المضاف "حق": ((صفة للمصدر أي: قدره الحق، فلما أضيف إلى موصوفه انتصبت على ما كان ينتصب عليه))[٧٦] والسياق في هذه المواضع الثلاثة يخاطب المشركين الذين يقرّون بتوحيد الربوبية ، فهم يؤمنون بوجود الله خالقًا لكل شيء ولكنهم يشركون به فكان وصف الله لهم بقوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره ﴾ لشركهم في توحيد الألوهية.

فسياق آية سورة الأنعام يذّكر المشركين بنعم الله تعالى التي يقرّون بفضل الله تعالى في إيجادها لهم وتعمد السورة إلى إقرارهم بسؤالهم ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام : ٦٣ ، ٦٤) فالسياق يوضح التناقض في عقيدة المشرك فهم يؤمنون بوجود الله تعالى ويؤمنون بعطائه وقدرته لكنهم يشركون في عبادته .

فعبادتهم لله موجودة لكنها عبادة من نوع فاسد، فتقديرهم لله موجود لكنه ليس التقدير المراد وإنما يراد نوعا آخر من العبادة والتقدير لله تعالى ، هو نوع الحق من التقدير ، فالسياق يريد "التقدير الحق" لا التقدير الباطل ، فهو نوع من التقدير ، فجاء بالتركيب الإضافي عدولا عن التركيب الوصفي لأن الإضافة تُظهر أنّ المراد نوعا من التقدير هو: الحق من

التقدير أي "حق التقدير" حتى لا يظن من صيغة التركيب الوصفي " وما قدروا الله تقديرَه الحقّ " أن المراد: أداءٌ أحسن في عبادة المشركين وأنّ عبادتهم وتقديرهم لله صواب لكنه تقصير يحتاج إلى زيادة في التقدير .

فمجيء التركيب الوصفي في صورة الإضافة بيّن أن صفة " حق " ليست تابعة للموصوف بغرض المدح لكنها صفة لنوع من التقدير هو المراد ؛ لأن الموصوف موجود عند المشركين وليس المراد مدحه أو ذمه وإنما مطالبتهم بنوع منه هو القائم على التوحيد وليس نوع عبادة الشرك، فالإضافة بينّت أنّ الصفة لبيان النوع من التقدير لأن الإضافة تكون بإضافة الجزء إلى الكل .

ويستشهد سياق سورة الأنعام في نقاشه لتناقض شرك المشركين في عبادته لله تعالى مع إقرارهم بأنه سبحانه ربٌ خالقٌ للكائنات ؛ يستشهد بقصة إبراهيم عليه السلام (أبو العرب) الذي استدل إلى التوحيد عن طريق الكائنات ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾ (الأنعام : ٧٤ – ٧٦).

فالسياق في نقاشه للمشركين لا ينكر إيمانهم بالله – أي تقديرهم له – ربًّا خالقًا ولكنه ينكر عليهم عدم توصلهم إلى التوحيد فناسبه التركيب الإضافي "حق قدره " الذي يظهر وجود عبادتهم وتقديرهم كنوع من التقدير لكن المراد نوعًا آخرًا من التقدير هو التوحيد.

ومثل هذا النقاش الذي يظهر تناقض المشركين في عقيدتهم نجده في سياق آية الحج التي جاء فيها التركيب الإضافي "حق قدره" ليكون التركيب الإضافي علامة مشتركة بين

المضمون الواحد في كلا السياقين ، فسورة الحج تتحدث عن نعمة الأنعام كما تحدثت سورة الأنعام عنها : ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾(الحج : ٣٠ ، ٣١) ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ (الحج : ٣٤). ويصرح السياق في سورة الحج بهذا التناقض في عقيدة الشرك مع التركيب الإضافي " حق قدره " ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج : ٧٣)

فكيف يعبد ما لا يخلق ويترك الخالق ؟! كيف يعبد ما لا يقدر ويترك القادر؟! ضعف الطالب لأنه ناقض نفسه فالضعف في عقله إذ ترك الخالق القادر مع إيمان المشرك (الطالب) بالله ربا وخالقا وضعف المطلوب عن الإجابة فليس في قدرته الإجابة .

ويعمد سياق سورة الحج – أيضا – إلى ذكر إبراهيم عليه السلام – كما ذكرته سورة الأنعام – وهنا في سورة الحج يربط السياق بين توحيد إبراهيم وبين البيت العتيق محل عبادة العرب ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (الحج: ٢٦) ويربط بين توحيد إبراهيم (ملته) وبين العرب المخاطبين : ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج : ٧٨)

فإذا كان سياق سورة الأنعام يستشهد باستدلال إبراهيم العقلي على التوحيد فإن سياق سورة الحج يبيّن أن أصل العبادات التوحيد؛ فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء لم يكن ليشرك بالله تعالى أصناما مخلوقة أو مسيحاً يأتي بعده ، فالتوحيد دين الفطرة والعقل إذ يُعبد الخالق الموجود أزلا وأبدا دون تناقض صَرْفِ العبادة لمن لا يخلق وهو محدث ، ولا يَقْدِر أن يردّ

السوء عن نفسه: ﴿إن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه﴾ .

فالسياق في سورة الحج يكشف عن تناقض عقيدة الشرك ، وهو سياق لا ينكر إيمان المشرك بعطاء الله تعالى ، وهو مدعى التناقض ، وإنما يدعوه لأن يوصله إيمانه بعطاء الله إلى توحيد الله في العبادة ، فالسياق يريد نوعا من التقدير (الإيمان والعبادة) هو نوع الحق فجاءت الإضافة لتبيّن أن المراد " حق التقدير " نوع منه قائم على التوحيد ، أما التركيب الوصفي " وما قدروا الله تقديره الحق " قد يفهم منه صحة عبادتهم (تقديرهم) مع مطالبتهم بإلحاق صفة الحق بها ، بزيادة العبادة فيها ، وهو معنى غير مراد ، إذ أن نوع عبادتهم فاسدة أصلاً والمراد نوعٌ آخر من العبادة .

والموضع الثالث لتركيب " حق قدره " يأتي كذلك مع نقاش هذا التناقض في عقيدة المشرك ، وهو في سياق سورة الزمر ، إذ تذكّر الآيات بنعم الله تعالى التي يقرّها المشرك ، فيذكرّه الله بنعمة الأنعام (كما هو في سورة الأنعام وسورة الحج) يقول تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾(الزمر : ٦).

ويكشف سياق سورة الزمر هذا التناقض في عقيدة الشرك ، إذ يعلم المشرك أن التوحيد هو الأصل ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (الزمر : ٦) والمشركون لا يرضونه لأنفسهم يقول تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر:٢٩) فهم لا يرضون بالشرك في أملاكهم ، فكيف يشركون في عبادة الله تعالى وهم يقرون أنه الخالق المعطي ؟! يقول تعالى: ﴿ ولَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ﴾ (الزمر: ٣٨) .

فهو تناقض تستنكره الآيات ، وجاءت معه بالتركيب الإضافي ليدل على وجود عبادتهم لكنها ليست النوع المراد من العبادة ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ *وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ* وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (الزمر: ٦٤ – ٦٧) فتقدير الله حق قدره يقتضي التوحيد لأن ﴿ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧) فالآية واضحة في إثبات الملك التام والتصرف الكامل لله تعالى دون غيره ، فالآية لا تأمر بتقدير الله تعالى تقديرا حقًا بمعنى العبادة الحسنة والتقدير الطيب ، وإنما تأمر بحق التقدير أي بنوعٍ من التقدير وهو التقدير الخالص من الشرك غير المتناقض مع كمال الله تعالى وكمال تصرفه .

فالتركيب الإضافي " حق قدره " يأتي مع السياق الذي يناقش تناقض إيمان المشركين بالله رباً خالقاً (توحيد الربوبية) وشركهم في عبادته ، ففي العدول عن التركيب الوصفي " قدره الحق " تأكيد على أن المراد من الصفة أن تكون مبيِّنة للنوع لا مطلق المدح ، إذ أن مطلق المدح قد يفهم منه ذم المشركين لتقصيرهم في العبادة ، أما بيان النوع فهو لرفض نوع عبادتهم ومطالبتهم بنوع آخر من العبادة ، هو نوع التوحيد في العبادة والتقدير، وإنما كانت الإضافة دالّة على إظهار الغرض من الصفة المبينة للنوع لأن الإضافة تكون بإضافة الجزء للكل .

٦ – وفي سياق تركيب " حقّ قدره " في سورة الحج يأتي تركيب " حق جهاده " في قوله تعالى ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج : ٧٨).

ففي آخر سورة الحج تأمر الآيات بالإخلاص لله وحده في كل عمل ، وهو التوحيد الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام ، وهو يقابل حال المشركين الذين يقومون بعبادة الله مع الإشراك به ، ومن عبادتهم إقامة سنة إبراهيم عليه السلام ، بتعظيم المشركين للبيت الحرام والطواف به والحج إليه ، وتعظيم الهدي والشعائر والأشهر الحرم ، وهم مع تلك العبادات يشركون بالله تعالى فيها ، لذا جاءت الآيات في سورة الحج تبيّن أن الحج فريضة من الله تعالى سَنّها نبيه إبراهيم عليه السلام عبادةً خالصة لله تعالى دون الإشراك به ، فحجّ المشركين عبادة ، في أصلها تشريع من الله تعالى ، إلا أن المشركين أدخلوا على العبادة الخالصة شركهم ، فتنوع من عبادة الحج ما هو باطل (داخله شرك) وما هو حق (خالص لله تعالى).

والتركيب الإضافي "حقّ جهاده" يأمر في ختام سورة الحج بأداء حق الجهاد في عبادة الله تعالى ، وأقرب ما تكون العبادة في ختام السورة مع ذكر إبراهيم عليه السلام : الحج ، وهو ما يدل عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت: ((قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال ، ألا نجاهد ، فقال: ولكن أفضل الجهاد حج مبرور)) [٧٧] والحج يشبه الجهاد في السفر من الموطن إلى مكان العبادة (الحج أو الجهاد).

والحج جهاد في سبيل الله أدّاه المشركون إيماناً منهم بوجود الله تعالى إلا أن حجهم (جهادهم بالحج) لم يكن حقّ الحج لما أدخلوه على العبادة من شرك ، فجاء الأمر بالجهاد الحق في غير صورته الأصلية (الجهاد الحق) حتى لا يظن أن المراد أداء أفضل للحج الذي عليه المشركون ، فجاء في صورة الإضافة عدولاً عن الأصل ليدلّ التركيب الإضافي "حق جهاده" على تنّوعٍ الموصوف المضاف إليه (عبادة الجهاد بالحج) إلى ما هو حق ، وما هو باطل لا

يُقبل لفساده ، لا للتقصير في أدائه. فأضيفت الصفة الدالة على النوع إلى الموصوف كإضافة الجزء إلى الكل.

٧ – والموضع السابع الذي جاءت فيه الصفة (حق) مضافاً كان في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ *وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد : ٢٥ – ٢٦).

فالتركيب الإضافي في " حق رعايتها " يأتي مع سياق يريد أن يوصل فكرة واضحة ، هي: أن الله سبحانه أرسل الرسل وأنزل البينات والكتب وكل أسباب الهداية والصلاح للناس ، فافترق الناس أمامها إلى مهتدٍ وفاسقٍ ، فالسياق يريد أن يقول أن هداية الله تعالى للناس جميعا واحدة ، لأنها هداية الحق والعدل والنفع وإنما يأتي التنوع إلى صلاح وفساد من تعامل الناس مع أسباب الهداية ، فالهداية واحدة ، ورسالة الله واحدة من نوح إلى محمد سلام الله عليهم جميعا .

وغرض السياق من إيصال هذه الفكرة :

١- النظر في أصول الإسلام الداعية للعدل والصلاح ، ليستدل من ينظر في حقيقة أصول الإسلام على صلاحية هذا الدين وقوامته على الناس .

٢- وليبيّن سبب إرسال محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد يُسأل : إذا كان الإسلام دين هداية الله التي جاءت بها الكتب السابقة ، فلماذا أرسل محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم ؟ لتكون الإجابة : حقًا أن الهداية – وهي فضل من الله تعالى – جاءت بها الكتب السماوية إلا أن أهل الكتب اختلفوا أمام كتبهم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤمنوا بالأصول الصحيحة للهداية ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله ﴾ (الحديد: ٢٨) فالسياق يبيّن سبب إرسال الهداية بقوله تعالى ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الحديد: ٢٩) ففضل الله (هدايته) ليست ملكا لأحد من البشر حتى تكون الهداية تحت قدرته ووفق رغبته، وإنما الفضل (الهداية) بيد الله تعالى .

فالسياق يبيّن أن هداية الله للبشر واحدة ، لكن الناس تنوّعوا أمام هذه الهداية ، بل إن كثيرا منهم يصفون الهداية على هواهم وكأنها تحت قدرتهم ، فكان إرسال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم إنقاذا لهداية الله من ضلال البشر ، وإقراراً لها في الأرض ، فمع هذا السياق جاء التركيب الإضافي في قوله تعالى متحدثًا عن أهل الكتاب ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ إذ أن الرهبانية تقرّب إلى الله ، فهي في أصلها عبادة يُفترض أنها تقرّب إلى الله وحده ، لا يراد بها إلا ابتغاء رضوان الله ، أي أنها عبادة تقوم على التوحيد ، وقد خرج أهل الكتاب عن دائرة الهداية المنزلة إليهم في هذه العبادة ، فما رعوها .

غير أن خروج أهل الكتاب عن دائرة هداية الله للبشر لم يكن بسبب تقصير في أداء العبادة لذا لم يأتِ التركيب الوصفي (رعايتَها الحقةَ) ، إذ ليس المراد أنهم لم يؤدّوا الرهبانية

في صورتها المثلى التي تجعلها موصوفة بصفة تثني عليها ، وإنما خروج أهل الكتاب عن دائرة هداية الله لهم – وهو ما تطلّب إرسال من يحافظ على أصول الهداية للبشر – كان بسبب مجيئهم بنوع آخر من العبادة ، هى عبادة غير الله وحده ، فتنّوعت العبادة إلى عبادة حق عبادة باطل.

فلما كان المراد من الصفة (حق) في هذا السياق أن تكون مبيّنة للنوع ، جاءت الصفة في صيغة الإضافة إلى الموصوف ، ليبيّن أنهم لم يوافقوا نوع الحق من العبادة ، عدولاً عن معنى أنهم لم يوافقوا العبادة الحقة ، الذي يحتمل صحة عبادتهم مع التقصير فيها ، فالإضافة بينّت تنّوع العبادة إلى حق وباطل ، وهو ما تطلبه السياق الذي يوضح أن سبب إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم : إقامة العبادة على نوع الحق بعد أن حاد أهل الكتاب عن الحق إلى الباطل ، فالسياق لا يتحدث عن تقصير في العبادة وإنما عن اختلاف في العقيدة التي هي أساس العبادة.

٨ ، ٩ – والموضعان الثامن والتاسع لإضافة الصفة " حقّ " كان في تركيب " حق اليقين " وذلك في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (الواقعة : ٩٥ – ٩٦)

﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (الحاقة : ٥١ – ٥٢)

والموضعان في سورتين تسميان باسمين من أسماء يوم القيامة ، وتفصّلان الحديث عن معيشة أهل الجنة وأهل النار ، وتختتمان بالقسم بالقرآن الكريم المكنون ، المحفوظ من التقوّل عليه ، ليكون بذلك تركيب " حق اليقين " تخصيصا للقرآن الكريم بوصف " حق " دون غيره من الأخبار التي تتحدث عن الغيبّيات ، فالسبيل الوحيد لمعرفة هذه الغيبيّات هو الوحي ،

والوحي موجود من قبل نزول القرآن الكريم ، فهذه الأخبار الغيبية سبق وأن جاءت في الكتب السماوية الأخرى ، إلا أن التحريف طال منها ، فجاء القرآن الكريم – وهو الوحي المحفوظ – بما هو حق من اليقين / الأخبار الغيبية .

فليس المراد من السياق وصف الوحي بأنه " حق " كما يدل عليه التركيب الوصفي "يقينا حقا" وإنما المراد تخصيص القرآن الكريم بأنه النوع الحق من الكتب السماوية أو النوع الحق من أخبار اليقين التي يجب الإيمان بها .

ويحتمل تركيب " حق اليقين " معنى الإضافة إلى الصفة " اليقين " فيكون عدولا عن التركيب الوصفي " حقاً متيقناً " ليدل على حفظ الله تعالى للوحي وإحاطته باليقين .

ومما سبق يظهر أن إضافة الصفة لموصوفها تدل على تنوّع الموصوف إلى حق وباطل، فتوضح الإضافة أن الغرض من الوصف بيان النوع لا مطلق المدح ، وهو المراد من السياق، إذ يتحدث عن نوعين للموصوف يجب الفصل بينهما .

- ســـــــوء :

أضيف لفظ "سوء" إلى " العذاب " ويراد به وصف العذاب ، فالعذاب كله سيئ ، وتخصيص العذاب بالسوء يدل على تنوع العذاب ، يقول الزمخشري : ((السوء مصدر السيئ ، يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل : يراد قبحهما ، ومعنى سوء العذاب ، والعذاب كله سيئ أشده وأفظعه ، وكأنه قبحه بالإضافة إلى سائره))[٧٨] فالزمخشري يشير إلى الغرض البلاغي من الإضافة بقوله : ((كأنّه قبحه بالإضافة إلى سائره)) ويبيّن أنّ الأصل أن العذاب كلّه سيئ، أي أن الأصل : العذاب السيئ ، فالزمخشري يذكر الأصل وداعي العدول عنه ، بأن جعل الصفة " سوء " نوعا من العذاب ، فهو عدول عن تبعية الصفة للموصوف إلى جعل

الصفة نوعا من الموصوف .

فالتركيب الوصفي " العذاب السيئ " يدل على أن الغرض من الصفة أحد أمرين :-

١- مطلق الذم ، فالصفة لذم الموصوف ، مثل أن يقال " الخيانة عمل قبيح " وهي الدلالة الأظهر من التركيب الوصفي ، لأن لفظ " السيئ " يدل بمعناه المعجمي على الذم .

٢- بيان النوع ، فالعذاب السيئ نوع من العذاب يتّسم عن غيره من أنواع العذاب بشيء مخصوص في الإساءة . وذلك مثل أن يقال : أحب قراءة الكتب الفقهية .

وأن يدل الوصف في التركيب الوصفي " العذاب السيئ " على بيان النوع ، أبعد من دلالته على مطلق الذم ، لما ذكره الزمخشري في نصه السابق " العذاب كله سيئ " ، فالتركيب الوصفي إما أن يكون لمطلق الذم أو لبيان النوع ، وأن يكون لمطلق الذم هنا أقرب. ولذلك عدل عن التركيب الوصفي (الذي يغلب عليه دلالة الوصف لمطلق الذم) إلى التركيب الإضافي (سوء العذاب) لأن الإضافة تقوم على المغايرة بين المضاف والمضاف إليه ، وعلى أن يتملّك المضاف إليه المضاف ، وعلاقة المغايرة والملكية أنسب لتكون بين النوع المنفصل عن الكل (الذي تدل عليه الصفة " سوء ") وبين الكلّ المتنوّع (العذاب) .

فالإضافة أقرب لدلالة بيان النوع للتغاير بين المضاف والمضاف إليه كالتغاير بين الشيء ونوعه ، والتركيب الوصفي أقرب لدلالة مطلق ذم الموصوف لأن الصفة والموصوف كالاسم الواحد عن طريق تبعية الصفة للموصوف في التركيب الوصفي ، فالعدول إلى التركيب الإضافي جاء لأمن اللبس بإيضاح الغرض من الوصف وهو بيان النوع لا مطلق الذم .

وقد جاء تركيب " سوء العذاب " تسع مرات في القرآن الكريم ، ثلاث مرات منها تدل

على إلحاق سوء العذاب ببني إسرائيل من آل فرعون ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ (البقرة:٤٩)

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (الأعراف : ١٤١)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم:٦)

والعذاب الذي تتحدث عنه المواضع الثلاثة كان استبعاد آل فرعون لبني إسرائيل ، وقد وصف القرآن الكريم آل فرعون بالاستنكار والعلو في الأرض ، واتخاذهم كثرة الأموال ليضلوا عن سبيل الله ، يقول تعالى ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (يونس : ٨٣)

وعذاب فرعون لبني إسرائيل **نوع غريب من أنواع العذاب** ، فلم يكن العذاب بهلاكهم ، ولكن كان بقتل الأبناء واستحياء النساء ، فهو قتل استمرار النسل من أصلابهم ، وإذلال لكرامة وأعراض المعذبين ، خوفا من ضياع مُلْك فرعون على يد أحد أبناء بني إسرائيل، فهو نوع مخصوص من العذاب يجمع بين المداومة على طلب بني إسرائيل والمكر في عذابهم (فنائهم) ، لذلك اقترن العذاب بلفظ " يسوم " يقول الزمخشري : ((وأصله من سام السلعة إذا طلبها ، كأنه بمعنى يبغونكم "))[٧٩] فلفظ " يسوم " يفيد الطلب ، ويشير ابن منظور إلى دلالة لفظ " يسوم " على المكر ، فيقول : ((عرض السلعة على البيع ... والمغالاة في الثمن لنقض عقد البيع بين الطرفين))[٨٠] .

والمرة الرابعة التي يضاف فيها " سوء " للعذاب تأتي لإلحاق العذاب على بني

إسرائيل إلى يوم القيامة ، وجاء مع لفظ يسوم أيضا ، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأعراف : ١٦٧) فبعدما أنعم الله تعالى على بني إسرائيل بأن نجاهم من سوء العذاب (النوع المخصوص من العذاب بقتل النسل وإذلال النساء والذي يجمع بين المداومة على الطلب والمكر) وأنعم عليهم بأن أورثهم جنات مصر وأموال فرعون وقومه ، عصوا الله ورسوله ، واتخذوا العجل جهلا وشركا بالله تعالى ، فتحدثت سياق سورة الأعراف عن عذاب الله تعالى لهم ، وتذكر قبل آية تركيب سوء العذاب مباشرة نوعًا غريبًا من العذاب هو المسخ ، يقول تعالى : ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف: ١٦٦) لتبيّن بعدها آية التركيب الإضافي أن عذاب الله تعالى لهم يتسم باستمراره إلى يوم القيامة.

فتركيب " سوء العذاب " في سورة الأعراف جاء لنوع مخصوص من العذاب ، فلم يُرد الله تعالى أن يهلكهم مرة واحدة مثل الأقوام السابقة ، وإنما يعذبهم إلى يوم القيامة ، كما أن في عذاب الله لبني إسرائيل بسوء العذاب إظهاراً لكفر بني إسرائيل بنعمة الله لهم بأن نجّاهم من سوء عذاب فرعون ، فجزاء الكفر بالنعمة زوالها .

وتأتي المرة الخامسة بلفظ بديل عن " السوم " يدل عليه ، وهو العرض ، فالسوم عرض السلعة للبيع (كما سبق وأن ذكر ابن منظور) إذ يقع العذاب على آل فرعون لا على بني إسرائيل، فهو جزاء من جنس العمل ؛ فهو عذاب لآل فرعون في الدنيا بعد الموت كما أذاقوه وهم أحياء لبني إسرائيل، يقول تعالى: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (غافر : ٤٥-٤٦).

وقد جاء لفظ "يعرضون" مع هذا النوع من العذاب بدلا من " يسوم " لأن السوم طلبٌ

للعذاب في مكر كطلب السلعة في مكر ، أما العرض فهو كشف للعذاب ، فبعد الحياة الدنيا ينكشف حال المحسن وحال المسيء ، وينكشف الثواب والعقاب كما يقول تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ﴾ (ق:٢٢) لذا لم يأت تسومهم النار غدوا وعشيا وإنّما ﴿النار يُعرضون عليها﴾ فهو نوع مخصوص من العذاب ، إذ تبين الآية أن سمة هذا العذاب أنه لا يقع في الدنيا ولا في يوم القيامة ، وإنما هو استمرار دائم في العذاب بعد الموت وكأنهم أحياء غدوا وعشيا ،فهو نوع من العذاب تأتي غرابته من أن العذاب في القرآن الكريم يكون للأحياء في الدنيا أو بعد يوم القيامة بعد البعث من رقدة الموت .

فالمرات الخمس السابقة التي جاء فيها سوء العذاب جاءت في عذاب بني إسرائيل من آل فرعون وعذاب الله الدائم لبني إسرائيل إلى يوم القيامة ، وعذاب الله الدائم لآل فرعون إلى يوم القيامة ، ليأتي التركيب بنوع معين من العذاب يقع على الفريقين .

فقد اتسم هذا النوع من العذاب بالإلحاح والمداومة في طلب المعذبين ، كما اتّسم بما يميزه عن غيره ، فهو إما عذاب بقتل ماكر للنسل ، أو عذاب بالمسخ ، أو عذاب مستمر في الدنيا إلى يوم القيامة .

فوصف العذاب – هنا – بالصفة " سوء " غرضه بيان نوع الموصوف ، وإظهار تغايره عن بقية أنواع العذاب، فهو مخصص لفئة معينة، فالعدول إلى الإضافة لأنها تكون بين متغايرين ، بإضافة الجزء (نوع سيء من العذاب) إلى الكل (بقية أنواع العذاب).

أمّا الموضع السادس الذي جاء فيه التركيب الإضافي (سوء العذاب) فقد جاء في سياق يربط بين نبي الله موسى عليه السلام وكتابه المبعوث به لبني إسرائيل من جهة وبين القرآن الكريم والمعرضين عنه من جهة أخرى يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى

الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٤ – ١٥٩).

فالآيات تبين أن الله تعالى أنزل التوراة تامة كاملة مفصلة ، فيها الهدى والرحمة لبنى إسرائيل ، لكنهم قابلوها بالكفر والتمادي في الحجج لكفرهم ، فطلبوا من نبيِّهم أن يريهم الله تعالى جهرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥) واختلفوا في دينهم وهو معنى قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ (الأنعام: ١٥٩) ، ذكر ابن كثير: ((نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى))[٨١] ثم يربط السياق الحديث عن كتاب موسى بالقرآن الكريم ، فهو الهدى الذي انتظره العرب وادّعوا أن حالهم سيكون أهدى من أهل الكتاب ، فلما أُنزل القرآن عليهم أعرضوا عنه ، على ما فيه من بينة وتفصيل وحجة عليهم .

ثم يتساءل السياق منكراً حال المعرضين: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ (الأنعام: ١٥٨) وهو تعجبٌ من حالهم الذي لا يكتفي بنزول الوحي إليهم ليؤمنوا بالله وفيه شبه بحال بني إسرائيل الذين سألوا نبيهم أن يروا الله جهرة كي يؤمنوا به ، وهو سبحانه

نجاهم من استعباد فرعون ، وبعث إليهم موسى عليه السلام بالتوراة ، لكنهم لم يكتفوا بنزول الوحي إليهم ليؤمنوا بالله تعالى.

فلما كان السياق يربط بين أهل التوراة وبين المعرضين عن القرآن الكريم جاء السياق متوعّدًا من يصدف عن آيات الله ويتمادى في طلب الحجج للإيمان ؛ بسوء العذاب ، وهو التركيب الإضافي الذي اقترن ذكره في القرآن الكريم ببني إسرائيل ، فكما أنّ بني إسرائيل حاق بهم سوء العذاب وهو نوع مخصوص من العذاب جزاء مقابلتهم نعم الله عليهم بالكفر ، والتمادي في تعليل الكفر ، فإن من يسلك هذا المسلك يناله الجزاء نفسه "سوء العذاب" .

وفى الموضع السابع الذي جاء فيه التركيب الإضافي " سوء العذاب " جاء الحديث عن القرآن الكريم مقرونًا – كذلك – بالحديث عن نبي الله موسى عليه السلام ، ولكن في هذا الموضع يخصّه بالآيات التي بعث بها إلى فرعون يقول تعالى: ﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ * وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (النمل: ١– ٧) .

ثم يتحدث السياق عن كفر فرعون وقومه : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل: ١٢ – ١٤).

فسياق الآيات الأولى من سورة النمل يتحدث عن القرآن الكريم متوعّدا المكذبين بسوء العذاب قبل الآخرة ثم العذاب في الآخرة ، يقول تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (النمل :٥) يقول الزمخشري مفسرا سوء العذاب : ((القتل والأسر يوم بدر))[٨٢] ويقول ابن كثير عن سوء العذاب : ((أي في الدنيا والآخرة))[٨٣].

وهذا الجمع في الوعيد بين العذاب قبل الآخرة والعذاب بعد يوم القيامة مع تركيب " سوء العذاب " في سورة النمل هو ما كان مع تركيب " سوء العذاب " في شأن عذاب الله تعالى لفرعون : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (غافر : ٤٥ – ٤٦) فسوء العذاب الذي جاء كنوع مخصوص من العذاب لفرعون وآله يتّسم بأنه استمرار في عذابهم قبل يوم القيامة وهو وعيد في سورة النمل للمكذبين بالقرآن الكريم مع دلالته – أيضاً – على استمراره قبل يوم القيامة، فهو نوع من العذاب قبل العذاب في الآخرة ، ثم يتحدث سياق آية "سوء العذاب" في سورة النمل عن نبي الله موسى وآياته لفرعون ، وذلك بعد الحديث عن القرآن الكريم والمكذبين به ، ليختتم السياق بالسؤال : ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل : ١٤) فالسياق يربط بين المكذبين بالقرآن الكريم المعاندين للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبين عناد فرعون ورفضه لآيات موسى عليه السلام ، فكان وعيد المكذبين بالقرآن بالتركيب الإضافي " سوء العذاب " الدال على نوع من العذاب كالذي حلّ بآل فرعون .

وعليه فإنّ الموضع السادس في سورة الأنعام – مع حديثه عن كتاب موسى – توعّد المكذبين بالقرآن الكريم بمثل ما حلّ على بني إسرائيل في مواضع أخرى ، أي " بسوء

العذاب " ، لكثرة تعلّلهم بحجج لقبول الإيمان ، وفى آخر السياق يشبّه المكذبين للقرآن الكريم ببني إسرائيل في تعليل الإيمان برؤية الله تعالى ، عن طريق السؤال الإنكاري : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهِمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ (الأنعام : ١٥٨).

وفى الموضع السابع يأتي تركيب " سوء العذاب " في سورة النمل – مع الحديث عن موسى عليه السلام وعناد فرعون له – متوعّداً المكذبين بالقرآن الكريم بمثل ما حلّ على فرعون في مواضع أخرى أي " بسوء العذاب " ، ثم يُختم السياق بسؤال تقريري : ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل : ١٤).

فكلا الموضعين وعيد بنوع من العذاب ، لأن المكذبين بالقرآن الكريم بالغوا في العناد إلى حدّ المشابهة مع بني إسرائيل في رفض الإيمان حتى يأتي الله تعالى ، فكان الوعيد بنوع من العذاب لغرابة نوع الذنب ، وهو نوع من العذاب يشبه ما حلّ بفرعون في أنه نوع من العذاب قبل العذاب في الآخرة ، فداعي العدول إلى إضافة الصفة (سوء) لإظهار أنها نوع من العذاب كالذي حل علي بني إسرائيل وآل فرعون لكلّ من يسلك مسلكهما .

وقد جاء الموضعان الأخيران في سورة الزمر ، فجاء الموضع الثامن في قوله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ * كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الزمر : ٢٢ ، ٢٥).

وهذا السياق يتحدث عن أثر القرآن الكريم على جلود المؤمنين به ، وفى المقابل أثر

العذاب على وجوه/ جلود من لا يؤمنون بالقرآن الكريم ، ففيه مقابلة بين من يقشعر جلده عند سماع القرآن الكريم خشية من الله تعالى ثم يلين جلده وقلبه لذكر الله (فهو تخصيص لنوع من أنواع العبادة ولأثر خاص من آثار الإيمان) وبين من وصفهم السياق بالقاسية قلوبهم لذكر الله ، ويتوعدهم بأثر العذاب على وجوههم – أي على موضع التكريم من جلودهم – وهو أثر خاص من أنواع العذاب ، فالسياق يتحدث عن نوع من أنواع العذاب ، هو عذاب الجلد (الوجه) بالإساءة إليه ، وإظهار أثر العذاب عليه ، جزاء لقسوة قلب صاحبه ، القسوة التي منعت ظهور أثر خاص للإيمان يظهر على الجلد.

فجاءت إضافة الصفة إلى الموصوف عدولا عن التركيب الوصفي دلالة على أن الصفة مبينة للنوع – فهي جزء خاص من العذاب ، كما يضاف الجزء إلى الكل – لأن المراد إظهار نوع من أثار العذاب .

وهذا الوصف في السياق: ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ (والذي به تتحدّد مقابلة السياق بينه وبين جلود المؤمنين بالله) ارتبط في القرآن الكريم بالأمم السابقة خاصة اليهود من أهل الكتاب ، فقد جاءت قسوة القلب في ستة مواضع من القرآن الكريم ، موضع منها في سياق تركيب " سوء العذاب " في سورة الزمر ، وخمسة مواضع كما يلي :

- موضعان نسبت فيهما قسوة القلب لليهود ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة : ٧٤).

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ (المائدة : ١٣).

- وموضع نسبت للذين أوتوا الكتاب : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ

مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد : ١٦).

- وموضعان نسبت فيهما القسوة للأمم السابقة دون تحديد : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(الأنعام: ٤٣).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (الحج : ٥٢ ، ٥٣)

فلم تنسب قسوة القلب في القرآن الكريم لأمة محدّدة سوى اليهود – المعروفين بالمادية – وبقية المواضع (الأمم السابقين – الذين أوتوا الكتاب) يصدق فيها ن تكون قسوة القلب لليهود .

فتركيب " سوء العذاب " فضلا عن كونه نوعا من آثار العذاب يختصّ بالظهور على الجلد في مقابل ظهور أثر الإيمان على الجلد ، فإنه – التركيب الإضافي – جاء مع وصف "القاسية قلوبهم" وهو وصف ارتبط باليهود ، كما ارتبط بهم التركيب الإضافي "سوء العذاب" في مواضعه الأخرى ، فكأنّ الآيات تحذر من السلوك مسلك اليهود في قسوة القلب ، حتى لا يكون الجزاء مثل جزاء الله تعالى لليهود ، بأن عذبهم بنوع خاص من أنواع العذاب .

فالمقابلة في السياق فيما يخصّ أثر الإيمان على الجلد ، ودلالة وصف " القاسية قلوبهم " على اليهود ، يدلان على أن العذاب بسوء العذاب عذاب من نوع محدّد ، فالصفة "سوء" لبيان النوع ، وقُدمت عن طريق الإضافة ليظهر الغرض من الوصف بها .

وجاء الموضع التاسع في سورة الزمر – أيضا – والسورة من بدايتها تخاطب

المشركين بأسلوب تذكريهم بنعم الله وحده ، وتذكريهم أن الملك لله وحده ، يقول تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ (الزمر : ٦) ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (الزمر:٨) ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (الزمر : ٤٣ – ٤٤) ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الزمر: ٥٢) ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الزمر: ٦٢، ٦٣) ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر:٦٧).

والحديث عن الثواب والعقاب في السورة ارتبط بالحسّ المادي لدى المخاطب الذي يتعلّق قلبه بمظاهر الملك ، فنجد ألفاظ "زمرا" " فتحت أبوابها " " أبواب " " أورثنا " يقول تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ (الزمر:٧١) ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (الزمر : ٧٢) ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ (الزمر : ٧٣) ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء﴾ (الزمر:٧٤) فالسورة تخاطب المشركين الذين يعتدون بملك ثروات الدنيا، ويطمئنون لها ، ويتنعمون فيها وهذا النوع من الخطاب هو ما نجده في آية التركيب الإضافي" سوء العذاب " يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر : ٤٧) فالآية تخاطب من غرته ثروات الحياة

الدنيا ، فانصرف عن عبادة الله وحده ، وظن أنّ ملكه في الأرض دليل على صحة عبادته لغير الله تعالى ، ودليل على نجاته يوم القيامة وتكريمه.

وهؤلاء الكفار المالكون لمتع الحياة الدنيا نوع من الكفار اعتادوا التأثير على من حولهم بأموالهم ، فهم الملوك وأتباعهم ، فجاء الوعيد لهم ببيان أثر العذاب في أنه " سوء " يقابل نعيمهم في الدنيا ، وجاء الوعيد لهم بنوع من العذاب ، هو النوع المعدّ لهؤلاء المعتدين بملك الدنيا الخادعين لأتباعهم ، فإذا كان العذاب يشترك فيه كل الكفار ، فإن سوء العذاب – كنوع من أنواع العذاب – ينتظر هذا النوع من الكفار .

وتركيب "سوء العذاب" في هذا الموضع يرتبط بدلالة " سوء العذاب " على نوع من أنواع العذاب في المواضع الأخرى ، فيما يلي :–

١- " الافتداء": فالكفار لا يزالون يعتدون بمقاييس الملك في الدنيا ، فيرغبون في ملك الأرض ومثله لمقايضتهم سوء العذاب . وهذه المقايضة بين سوء العذاب وملك ما في الأرض ومثله معه تفيد ما دلّ عليه لفظ " يسوم " (الذي ارتبط بتركيب سوء العذاب) من عرض السلعة وطلبها والمغالاة فيها ، فهي مساومة للمعذبين الذي يرغبون في القدرة على المقايضة افتداء لأنفسهم من سوء العذاب .

٢- لقد جاء تركيب " سوء العذاب " في المواضع الأخرى لفرعون وبني إسرائيل ، وقد كان النبي المرسل لهما موسى عليه السلام ، وفي سياق هذا الموضع تأتي الإشارة إلى قارون ، يقول تعالى : ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(الزمر : ٤٩ ، ٥٠) يقول الزمخشري في تفسيره

لقوله تعالى ﴿ الذين من قبلهم ﴾ : ((هم قارون وقومه حيث قال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ وقومه راضون بها ، فكأنهم قالوها))[٨٤] فعندما جاء " سوء العذاب " في الآية (٤٧) في سورة الزمر جاء في سياقه مقولة قارون التي ذكرت في سورة القصص : ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص : ٧٨).

فإذا كانت المواضع الأخرى للتركيب "سوء العذاب" ارتبطت ببني إسرائيل وفرعون ، فإن هذا الموضع للتركيب " سوء العذاب " جاء في سورة الزمر مع توجيه الخطاب إلى المعتدّين بملك الدنيا وكان فرعون من هؤلاء ، يقول تعالى : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف :٥١) وهذا المُلك ورثه بنو إسرائيل لكنهم تبعوا فرعون في الكفر .

وهذا الموضع في سورة الزمر يشير إلى مقولة قارون ، وهو من قوم موسى والمكذبين لرسالته مع فرعون وكفار بني إسرائيل ، يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (غافر : ٢٣ – ٢٥) فهذه الآيات تجمع بين فرعون وقارون في تكذيب موسى عليه السلام وفى تعذيب بني إسرائيل الذي وصُف في القرآن الكريم بسوء العذاب .

وهذا كلّه من شأنه أن يؤكد أن الخطاب مع تركيب " سوء العذاب " في هذا الموضع خطاب لنوع من الكفار ، وهو يتوعّدهم بنوع من العذاب كالذي جاء لفرعون وآله وكالذي جاء لبني إسرائيل، فتركيب " سوء العذاب " في هذا الموضع يحذر السلوك مسلك آل فرعون في الاعتداد بالملك ، ويتوعد من يفعل ذلك بالجزاء المماثل لآل فرعون ، وهو

نوع من العذاب ، وإنما كان نوعاً من العذاب لآل فرعون لأنه عذاب دائم قبل يوم القيامة (غدوًّا وعشيًّا) وكأنهم أحياء في رقدة الموت ، وهنا جاء " سوء العذاب " يدّل على نوع من العذاب لأنه جزاء مسلك خاص للكفر ، فهو جزاء نوع من أنواع الكفر وهو النوع القائم على غطرسة الملك في الدنيا .

فالعدول عن التركيب الوصفي " العذاب السيئ " إلى التركيب الإضافي " سوء العذاب " ليدلّ على أن الصفة هنا تبيّن نوعاً من أنواع العذاب ، وليست لمطلق الذمّ ، فأضيفت إلى الموصوف كما يضاف الجزء إلى الكل لأنها نوع (كالجزء) من كل العذاب .

هذه هي المواضع التسعة التي جاء فيها تركيب " سوء العذاب " فمع أن العذاب كله سيئ ، فالأصل التركيب الوصفي " العذاب السيئ " إلا أنه عدل إلى التركيب الإضافي لأن الوصف هنا يدلّ على نوع خاص من أنواع العذاب ، فقد جاءت كما يلي :

- ثلاث مرات (البقرة : ٤٩ ، الأعراف: ١٤١ ، إبراهيم: ٦) مع لفظ " يسوم " ، تصف عذاب فرعون لبني إسرائيل بنوع من العذاب ، هو إفناء بني إسرائيل في المستقبل خوفا على ملك فرعون .
- مرّةً واحدةً (الأعراف: ١٦٧) مع لفظ " يسوم " ، لوصف عذاب الله الدائم لبني إسرائيل إلى يوم القيامة غضبا عليهم ، وهو نوع من العذاب ليس كإهلاك الأمم الأخرى ، وليس هو بالعذاب في الآخرة.
- مرّةً واحدةً (غافر: ٤٥) مع لفظ " يعرضون " لوصف عذاب الله الدائم لفرعون وآله قبل يوم القيامة ، غدوا وعشيا وكأنهم أحياء في رقدة الموت ، فهو نوع خاص من العذاب.

- مرّةً واحدةً (الأنعام : ١٥٧) وعيد لمن يكذب بالقرآن الكريم منكرا آيات الله الداعية للإيمان، وينتظر أن يأتي الله تعالى .

وذلك في سياق يتحدث عن كتاب موسى وتفرّق أهله ، فهو يحذر من السلوك مسلك بني إسرائيل في تعليق الإيمان على حجج غريبة (رؤية الله جهرة) ، فهو نوع غريب من المساومة على الإيمان ، جزاؤه نوع من العذاب .

- مرّةً واحدةً (النمل : ٥) وعيد بالعذاب قبل الآخرة لمن كذب بالقرآن الكريم مع الحديث عن آيات موسى عليه السلام لفرعون ، وتكذيب فرعون له ، فهو تحذير من مسلك فرعون الذي كان عقابه نوعا من العذاب – هو العذاب الدائم قبل يوم القيامة – لأن الجزاء سيكون مماثلا لجزائه في كونه نوعاً من العذاب قبل يوم القيامة .
- مرّةً واحدةً (الزمر : ٢٤) وعيد للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، وهم الذين يسلكون مسلك اليهود الموسومين في القرآن الكريم بقسوة القلب . فهو وعيد بنوع خاص من العذاب جزاء عدم ظهور أثرٍ خاصٍ من أثار الإيمان ، هو أثر الإيمان على الجلود والقلوب .
- مرّةً واحدةً (الزمر : ٤٧) وعيد لمن يعتدّ بملكه ، فيقيس الملك في الآخرة بملكه في الدنيا، فيظن قدرته على افتداء نفسه بمقايضة سوء العذاب . وهو في ذلك يسلك مسلك فرعون المعتدّ بملكه ، ومسلك قارون الذي ادّعى القدرة في نفسه ، فهو وعيد بنوع من العذاب جزاء نوع من الكفر يقوم على غطرسة الملك في الدنيا .

إن هذه المواضع كلها ترتبط بفرعون وبني إسرائيل ممن كفروا بموسى عليه السلام في نوع خاص من العذاب ، يلفت السياق إلى أنّه يتسم بصفات أخرى غير كونه سيئا ، صفات تجعله مميّزا عن بقية العذاب، فجاء العدول بتقديم الصفة المبيّنة للنوع ، وإضافتها

للموصوف ، ليظهر أن الغرض من الوصف – هنا– بيان النوع ، فالصفة نوع من الموصوف ، كما أنّ المضاف جزء من المضاف إليه.

وإذا كان العذاب يقبل وصف " السيّئ " فإن ألفاظ " الحساب " ، " الدار " ، " أعمالهم " ، "عمله" أضيف إليها لفظ "سوء" في سياقات لا تقبل تفسير التركيب الإضافي بالتركيب الوصفي، ولا يراد من التركيب الإضافي الوصف ، وإنما يراد صدور السوء من المضاف إليه كما يضاف العمل المُحدَث إلى فاعله أو الشيء إلى مالكه .

بينما يأتي التركيب الوصفي في قولة تعالى ﴿ مّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لّهُ نَصِيبٌ مّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيّئَةً يَكُن لّهُ كِفْلٌ مّنْهَا ﴾ (النساء : ٨٥) فالسياق يشير إلى شفاعتين منفصلتين ، إحداهما من المنافقين لنشر روح التخاذل، والأخرى من الرسول **صلى الله عليه وسلم** ﴿ وَحَرّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء:٨٤) فهناك شفاعة تتصف بالحسن في أصلها ومسلكها وهي تقابل الشفاعة التي تتصف بالسيئة في أصلها ومسلكها، ولا تجتمع كلتا الشفاعتين في أصل واحد، وليس في دلالة الصفة – هنا – على بيان نوع الموصوف لبسٌ ، فجاء الوصف في صوته الأصلية.

ب) العدول عن التركيب الوصفي لإظهار حدوث الصفة أو انتهاء حدوثها:

فالإضافة تكون بين متغايرين ، ولذلك فقد يعدل السياق إلى الإضافة لغرض إظهار الموصوف قبل إحداث (دخول) الصفة على الموصوف ، أو يُظهر الموصوف بعد انتهاء أثر الصفة ، فيكون العدول مُبيّنًا لتغاير الموصوف عن الصفة قبل حدوثها أو بعد انتهاء حدوثها ، وهى فائدة العدول فيما يلي :

- قَصْـــد:

يحتمل تركيب (قَصْد السبيل) أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: قَصْدُكم السبيلَ ، ويحتمل أن يكون بمعنى التركيب الوصفي : السبيل القَصْد ، يقول تعالى: ﴿وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (النحل : ٩) ويبيّن الزمخشري معنى الصفة " قصْد " بقوله ((والقَصْد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد، يُقال: سبيلٌ قصدٌ وقاصد أى مستقيم ... ومعنى قوله ﴿ وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه ، كقوله ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ (الليل : ١٢)))[٨٥] فالزمخشرى يفسر التركيب الإضافي " قصد السبيل بالتركيب الوصفي " سبيل قصد " .

والنص القرآنى يفرّق بين أسلوبين :

الأول : ﴿ وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ .

الثانى : ﴿ منها جائر ﴾.

وفضلا عن دلالة حرف الجر " على " في نسبة قصد السبيل إلى الله تعالى ، ودلالة حرف الجر " من " في قطع نسبة الجائر إلى الله تعالى ، فإن الأسلوب الأول تركيب إضافي ، والثاني أسلوب وصفى ، فهو بمعنى : من السبيل سبيل جائر ، فلماذا لم يكن الأسلوب الأول: (وعلى الله السبيلُ القصدُ) أو (السبيل القاصد) ؟ فكان من الممكن أن يأتي بالتركيب الوصفي "السبيل القصد" وهو يناسب تركيب " ومنها جائر " .

وقد جاء التركيب الإضافي " قصد السبيل " مع أن الوصف بالقصد بغير إضافته للموصوف موجود في القرآن الكريم ، وذلك في المواضع الآتية ، يقول تعالى:

١- ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة : ٦٦).

٢- ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ ﴾ (التوبة : ٤٢).

٣- ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (لقمان:٣٢)

٤- ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ (فاطر : ٣٢)

والعدول عن تركيب " السبيل القصد " إلى تركيب " قصد السبيل " تقديم للصفة ينتقل معه الوصف من حكم التبعية للموصوف إلى حكم المضاف المغاير للموصوف المضاف إليه ، إذ يقسّم عبد القاهر الجرجاني التقديم وجهين ، فيقول: ((وتقديم الشيء على وجهين : تقديم يُقال أنه على نية التأخير ... كقولك : منطلقٌ زيدٌ ، وتقديمٌ لا على نية التأخير ، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم ، وتجعل له بابا غير بابه ، وإعرابا غير إعرابه))[٨٦] وتقديم الصفة بإضافتها إلى الموصوف يفيد إبراز الصفة والعناية بها من المنعم عز وجل ، وأهميتها للمنعَم عليهم .

وفضلاً عن ذلك ، فإن هناك فائدة أخرى من العدول إلى إضافة الصفة إلى موصوفها مأخوذ من قيام الإضافة على التجريد .

فسياق تركيب " قصد السبيل " سياقُ امتنان من الله تعالى بنعمة تيسير السُبل التي لم يُكن بلوغها إلا بشقّ الأنفس ، يقول تعالى: ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ (النحل : ٥-٩) فالله تعالى هو المتكفل بتهيئة السبل ويجعلها صالحة مستقيمة لتكون في نهاية الأمر كما نعرفها سبيلا قصدا.

فعدل عن الأصل وهو وصف السبيل بالقصد (سبيلٌ قصدٌ) مع أنه الأصل إذ لا توجد الصفة مستقلة عن الموصوف ، فالسبيل إما (سبيلٌ قصدٌ) – كما ذكر الزمخشرى – وإما سبيل جائر – كما وصفه الله تعالى – وذلك ليبين أن السبيل ليس في أصله موصوفا بالقصد ، وأن الله بإرادته يهيئه ويجعله قصداً ، أي فعلى الله تعالى أن يجعل السبيل قصدًا (مهيّأ) وفيه إشارة إلى أن الله يُيَسر السبيل على من أراد، ويكون السبيل جائراً دون نسبة الجور لله تعالى ، وهو حسن أدب مع الله تعالى .

فالصفة (قصد) بمعنى الاعتدال والاستقامة ملاصقة للسبيل تقع عليها – في الأصل – وليست جزاءً مستقلاً مغايراً للسبيل ، فالأصل سبيلٌ قصدٌ ، كما نراها ونعرفها ، أى أنها سبيل مستقيم ، لذلك قال ابن كثير أنها مثل : صراطٍ مستقيم ، يقول ابن كثير : ((﴿ وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ كقولـــه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) وقال ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران: ٥١)))[٨٧] فالاستقامة صفة للصراط تابعة له ، لذا جاءت على الأصل في تركيب " صراط مستقيم" – كما هو في سورة الفاتحة – إذ يريد تعريف الصراط بالوصف ليكون مميزا عن غيره المعوج (صراط المغضوب عليهم والضالين) فآيات الفاتحة تتحدث عن الصراط الذي نعرفه بوصفه مستقيما ونسأل الله الهداية له ، فجاء الصراط موصوفا في التركيب الوصفي في صورته الأصلية .

أما في " قصد السبيل " فقد عدل عن التركيب الوصفي " السبيل القصد " لأن السياق لا يتحدث عما نعرفه من السبل المقتصدة والجائرة ، وإنما يتحدث عن نعمة الله في جعل السبيل قصدًا، فلما كان الأمر كذلك غاير بين الصفة (القصد) والموصوف (السبيل) عن طريق الإضافة – إذ أن الإضافة تكون بين المتغايرين – ليُبين أن قصد (الاستقامة) أدخله (أضافه) الله تعالى على السبيل نعمة منه ، وأن السبيل لم يكن قصدا في أصله ، وإنما أصبح القصد

(الصفة) جزءاً منه .

فالعدول إلى التراكيب الإضافي عن التركيب الوصفي ليجرّد الموصوف من الصفة ، فيُظهر أثر إدخال الصفة على الموصوف ، وهو ما يناسب مقام الامتنان من الله تعالى بتيسير السبل الشاقة والجائرة .

- يتـــامـــى:

جاء تركيب (يتامى النساءِ) في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ﴾(النساء:١٢٧)

ويتحدث الرازي عن الخلاف بين الكوفيين والبصريين في صحة إضافة الصفة إلى الموصوف فيما يخصّ تركيب " يتامى النساء " ، فيقول: ((قال الكوفيون: معناه: في النساء اليتامى، فأضيفت الصفة إلى الاسم .. وقال البصريون : إضافة الصفة إلى الاسم غير جائز ، فلا يُقال : مررت بطالعةِ الشمسِ ، وذلك لأنّ الصفة والموصوف شيء واحد ، وإضافة الشيء إلى نفسه محال، وهذا تعليل ضعيف ، لأن الموصوف قد يبقى بدون الوصف ، وذلك يدلّ على أنّ الموصوف غير الصفة ، ثم أنّ البصريين فرّعوا على هذا القول وقالوا : النساء في الآية غير اليتامى ، والمراد بالنساء : أمهات اليتامى ، أضيفت إليهنّ أولادهنّ اليتامى))[٨٨] .

فالكوفيون يفسرون الإضافة في "يتامى النساءِ" بإضافة الصفة إلى الموصوف بمعنى النساء اليتامى، ومنعه البصريون ، لأن الإضافة تكون بين متغايرين ، والصفة والموصوف شيء واحد. وردّ الرازي علّة البصريين بما يفيد: أنّ الموصوف في ذاته غير الصفة، ورأىُ

الرازي يوحي بما تفعله الإضافة من تجريدٍ للصفة لتكون مغايرة للموصوف من باب التجوّز ، فتصلحُ الإضافة بينهما .

والتركيب الإضافي " يتامى النساء " بمعنى التركيب الوصفي " النساء اليتامى" أو بمعنى: "اليتامى من النساء" يدلّ على معنىً واحد هو : " اليتيمات " (جمع يتيمة) وهو ما يفيده تفسير الآية الكريمة ، كما جاء في تفسير ابن كثير : ((والمقصود أنّ الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحلّ له تَزَوّجها ، فتارةً يرغب أن يتزوّجها ، فأمره الله أن يمهرها أسوةً بأمثالهنّ من النساء ... وتارةً لا يكون للرجل فيها رغبةً ... فنهاهُ الله – عَزّ وجلّ – أن يعضلها عن الأزواج خشية أن يشركوه في ماله الذي بينه وبينها))[٨٩].

فيفيد تركيب " يتامى النساء " المعنى الوصفي في لفظ "اليتيمات" أو تركيب "النساء اليتامى " وحَسُنَ تغليب التذكير في لفظ " يتامى " لوقوع اليُتْم في الصغر ، فلفظ " يتيم " كلفظ " رضيع " يستوي فيه المذكر والمؤنث ، فتغلب صفة اليتم أو الرضاعة على علامة التأنيث ، وبذلك عدل عن لفظ " اليتيمات " لأنّ اليُتْم يقع على الصغير ، وتطلّبَ ذكر النكاح في الآية لفظ "النساء" ، ليبيّن حالهنّ ، فاجتمع لفظان "يتامى" و "النساء" وكلاهما مرادٌ في الآية ، فموضوعها : مراعاة حقّ اليتيمة في النكاح ، وقدّم صفة "يتامى" عدولاً عن " النساء اليتامى " لأن اليُتم حاصلٌ قبل أن يَصِرْنّ نساءً .

فتقديم الصفة "يتامى" بتجريدها من الموصوف وإضافتها إليه كجزء من الموصوف (النساء) لعدم اجتماع الصفة والموصوف في وقت واحد من العمر ، فتدلّ الإضافة على المرحلة العمرية، إذ يأتي اليتم قبل أن يصرن نساءً ، واليتم في الصغر لا يجتمع مع كبر النساء الصالحات للزواج ، فغاير عن طريق الإضافة بين اليتم في " يتامى " وبين النساء ، وأضاف " يتامى " إلى" النساء " (كما يضاف الجزء إلى الكلّ) لأن اليتم جزءٌ من حياة المرأة الصالحةُ

للزواج ، فهو جزء من النساء اللاتي كنّ يتامى .

فأفاد العدول إلى التركيب الإضافي تجريد الصفة عن الموصوف ، ليغاير بين الصفة والموصوف ، ليُظهر انتهاء الحدث المسبب لاكتساب هذه الصفة وتَنافي اجتماع حدوث الصفة مع الموصوف في صورته الحالية .

ولأنّ الغرض من الآية الحفاظ على اليتيم من الظلم ، قدّم الصفة " يتامى " لأنها محلٌ العناية.

استخــلاص :

وبعد تحليل مواضع إضافة الموصوف إلى صفته ومواضع إضافة الصفة إلى موصوفها عدولاً عن التركيب الوصفي ، يخلُص هذا التحليل إلي ما يلي :

(أولًا) فائدة إضافة الموصوف إلى صفته :

١- تحقق وقوع الصفة الموعود بها :

فيتحدث السياق في زمن وقوع الصفة الموعود بها أي بعد تحققها ، فتصبح بذلك مالكة للموصوف ، مثل تركيب "دار الآخرة" وهو عدول عن تركيب (الدار الآخرة) الذي جاء في سياقات تتحدث عن الصفة (الآخرة) في الزمن المستقبل ، ومثل تركيب (وعد الحق) الذي جاء مع الحديث عن تحقيق الوعد للموعودين في الآخرة ، بينما جاء تركيب "الوعد الحقّ" في سياق الحديث عن الوعد في الدنيا قبل تحققه.

٢- إحاطة الصفة بالموصوف بما يقتضيه السياق :

إذ يعدل السياق إلى التركيب الإضافي عند الوعيد بالعقاب (الجوع) ليُبيّن تملك الجوع لكل ما هو ظاهر وباطن في تركيب "لباس الجوع" ، وكذلك عند حديثه عن ضرورة وجوب

إخضاع الإنسان قوّته لضعف والديه ، فيعدل إلى إخضاع (جناح) إلى الصفة (الذل) عن طريق الإضافة.

وإحاطة الصفة لموصوفها تُبيّن أثر العقيدة السيئة في سلوك الإنسان فهى المتملّكة له ولكل ما يصدر عنه ، ولذلك جاءت الإضافة في تراكيب " دائرة السوء ، ظن السوء ، قوم سوء، امرأ سوء ، مكر السيئ " ، وهى كإحاطة السوء بالمكان الذي حلّ عليه مطر العذاب بعد مضي زمن من نزوله وذلك في تركيب " مَطَرَ السَّوْءِ " .

وأضيف الموصوف إلي صفته في تركيب " جزاء الضعف " لأن الجزاء للمؤمنين في سياق الإنفاق في سبيل الله تعالى ، فالجزاء من جنس المضاعفة ، فهو أضعاف كثيرة ، وليس المراد الجزاء ومثلَه ، كما هو في تركيب "جزاءً ضعفاً" الذي جاء في عذاب الله للكافرين المضلين وأعوانهم.

وإذا كان السيل في أصله ماءً كثيراً فإن وصفه بالعرم يؤكد هذا المعنى ، وإضافته تُبيّن تملك هذا الوصف (الماء الكثير) للسيل ليُظهر العدول قوة الصفة التي لا يحول أمامها سدود مملكة سبأ ، كما عمد السياق إلى تركيب " ساعة العسرة " ليُبيّن تلك الحالة الشديدة العسرة التي يصفها التفسير ، والتي يؤكد شدة عسرتها مجيء لفظ " ساعة " عند الحديث عنها ، إذ أنّ استخدام القرآن الكريم للفظ " ساعة " يُكسبه دلالة الفصل بين الحياة والموت ، وقد عدل السياق إلى تركيب " يوم نحسٍ " بينما نجد التركيب الوصفي " أيامٍ نحساتٍ " وذلك لتغاير السياقين فأحدهما سياق وعيد والآخر ينهج نهج التفصيل .

وجاء العدول بالإضافة إلى صفة " اليقين " ، لأن الموصوف المضاف (حق ، علم ، عين) يوصل إلى هذا اليقين ، وهو جزاء غيبي محاط ومحفوظ.

٣- حفظ الصفة للموصوف :

فقد جاء العدول إلى تركيب " دين الحق " وتركيب " دين القيمة " بما يفيد حفظ الدين من التحريف أو القضاء عليه ، وجاء تركيب " دعوة الحق " بما يفيد استجابة الله تعالى لدعاء المخلصين لــه ، واستجابة الدعوة حفظ لها ، في مقابل دعاء الكافرين لمن لا يستجيبون لهم ، كما جاء تركيب " قول الحق " مع حديث السياق عن افتقار المسيح عليه السلام لله تعالى وحاجته إلى حفظ الله له.

والعدول إلى تركيب " أذن خير" للدلالة على حفظ الله تعالى لطبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم البشرية ، فهي تسمع كل شيء ، لكنها معصومة ، فلا ينطق عن الهوى .

وهو كحفظ الله تعالى للوحي الذي جاء بلسان ذرية إبراهيم عليه السلام في تركيب "لسان صدق" وهو كحفظ الله تعالى لجزاء المستضعفين من المؤمنين في تركيب " قدم صدق ، مدخل صدق ، مخرج صدق ، مقعد صدق ".

ومع الحديث عن إيذاء اليهود لرسلهم يعمد السياق إلى إظهار حفظ الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام بالعدول إلى تركيب "روح القدس" .

٤- الدلالة على وجود مضاف إليه محذوف ملازمٍ للموصوف حلّت الصفة محلّه:

فتركيب " جانب الغربي " أصله تركيبٌ وصفي هو " جانب الطور الغربي " لكن المضاف إليه (الطور) حذف مراعاةً لحديث السياق عن نداء الله تعالى لموسى عليه السلام ، وهو ما يتلاشى فيه المكان الثابت ، فحلّت الصفة (الغربي) محلّ المضاف إليه (الطور).

(ثانيًا) فائدة إضافة الصفة إلى موصوفها :

١- إظهار أنّ الغرض من الوصف بيان نوع الموصوف ، لا مطلق المدح:

فيأتي العدول إلى التركيب الإضافي بتجريد الصفة عن الموصوف وإضافتها إلى الموصوف ، كما يضاف الجزء إلى الكلّ ، لتفيد بذلك أنها نوع من الموصوف ، مثل تركيب: "حق تقاته" وتركيب " سوء العذاب " فالسياق يريد نوعاً مخصوصاً من التقوى ، ويتحدّث عن نوعٍ مخصوصٍ من أنواع العذاب .

٢- تجريد الصفة من الموصوف لإظهار دخول الصفة (إحداثها) على الموصوف :

فيكون العدول إلى الإضافة لإظهار أن الصفة مغايرة أصلاً للموصوف ، فالصفة حادثةٌ على الموصوف ، وذلك مثل التركيب الإضافي: " قصد السبيل " فالسياق يتحدّث عن نعمة الله تعالى بإدخال نعمة القصد (الاعتدال) على السبيل.

٣- تجريد الصفة عن الموصوف ليدل على انتهاء الحدث المسبب للصفة:

وذلك مثل التركيب الإضافي "يتامى النساء" عدولًا عن "النساء اليتامى" فالسياق يتحدّث عن النساء الصالحات للزواج فينتفي فيهن الحدث المسبِّبَ للصفة (وهو اليتم) فجاءت الصفة كالجزء المضاف إلى الكل ، لأنّ المغايرة أدلّ على عدم اجتماع اليتم ونضج المرأة للزواج معاً .

فالإضافة بين الموصوف والصفة تقوم على العدول عن تبعية الصفة للموصوف (فهما شيء واحد) إلى تجريد الصفة من الموصوف ليكونا متغايرين ، ثم تربطهما علاقة الإضافة ، وهى علاقة إضافة النوع إلى الكل ، أو علاقة إضافة الشيء إلى مالكه المحيط به، لتدلّ علاقة الإضافة بين الصفة والموصوف على المعنى الذي يريده السياق ، فالعدول عن

علاقة التبعية بين الصفة والموصوف إلى علاقة الاستحقاق والملكية في التركيب الإضافي لم يكن لفائدة التأكيد على العلاقة الوصفية وحسب ، وإنما استثمره النصّ لأداء المعنى المراد بما يقتضيه السياق .

وللہ الحمد أولًا وآخرًا ظاهرًا وباطنًا دائمًا وأبدًا

بيـــان ما درس من تراكيب إضافية لها متشابه في مواضع أخرى أو قراءة أخرى

التركيـــــب الإضافـــي	متشابـــــه التركيـــب الإضافي	الصفحة
﴿ أُذُنُ خَيْـرٍ ﴾ (التوبة : ٦١)	﴿ أذنٌ خيرٌ ﴾ (قراءة)	
﴿ ثِيَابُ سُندُسٍ ﴾ (الإنسان : ٢١)	﴿ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ﴾(الكهف : ٣١)	
﴿ جَزَاءُ الضِّعْفِ ﴾ (سبأ : ٣٧)	﴿ عَذَاباً ضِعْفاً ﴾ (الأعراف : ٣٨)	

﴿ جَانِبِ الغَرْبِيِّ ﴾ (القصص : ٤٤)	﴿ جَانِبِ الطُّورِ ﴾ (القصص : ٤٦)	
﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ (يوسف : ١٠٩)	﴿ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ ﴾ (الأنعام : ٣٢)	
﴿ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾ (البينة : ٥)	﴿ الدينُ القيمةُ ﴾ (قراءة)	
﴿ سَاعَةِ العُسْرَةِ ﴾ (التوبة : ١٧)	﴿ يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ (القمر : ٨)	
﴿ قَوْلَ الحَقِّ ﴾ (مريم : ٣٤)	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ﴾ (آل عمران:٦٣)	
﴿ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ (الفرقان : ٤٠)	﴿فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ﴾ (الشعراء : ١٧٣)	
﴿ مَكْرَ السَّيِّئِ ﴾ (فاطر : ٤٣)	﴿ المَكْرُ السَّيِّئُ ﴾ (فاطر : ٤٣)	
﴿ وَعْدَ الحَقِّ ﴾ (إبراهيم : ٢٢)	﴿ وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ ﴾ (الأنبياء : ٩٧)	
﴿ وَعْدَ الصِّدْقِ ﴾ (الأحقاف : ١٦)	﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ (الأحقاف : ١٧)	
﴿ يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ (القمر : ١٩)	﴿ أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾ (فصلت : ١٦)	

ثبت المراجع

---

١ سيبويه ، الكتاب ، ١/ ١٢١

---

٢ ابن الأثير ، المثل السائر ، ١ / ٤٠٥
٣ الألوسي ، روح المعاني ، ١٧/٤
٤ نفسه ، ٦٢/١١
٥ الإسكافي ، درّة التنزيل ، ١٣٤
٦ نفسه ، ١٣٥
٧ الإسكافي ، درّة التنزيل ، ١٣٥
٨ الكرماني ، أسرار التكرار في القرآن ، ١١٣
٩ ابن جماعة ، كشف المعاني ، ١٢٥
١٠ ابن الزبير ، ملاك التأويل ، ١ / ٤٤٩
١١ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٢٩٢
١٢ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٤٣٥ ــ ٤٣٦
١٣ نفسه ، أسرار البلاغة ، ٤٧
١٤ ابن الأثير ، المثل السائر ، ١ / ٣٤٨ ــ ٣٤٩
١٥ عز الدين بن عبد السلام ، الإشارة إلى الإيجاز ، ٩٢
١٦ الزمخشري ، الكشاف ، ٣ /٤٧
١٧ نفسه ، ٤ / ١٤١
١٨ نفسه ، ١٤١/١
١٩ نفسه ، ٣ / ١١
٢٠ ابن الأثير ، المثل السائر ، ١ / ٣٩٨
٢١ ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ١٥/٢
٢٢ الزمخشري ، الكشاف ، ٣ /٢١٩
٢٣ السيوطي ، الإتقان ، ١٤٠/٣
٢٤ الزمخشري ، الكشاف ، ٣ / ٦٤
٢٥ د . محمد حماسه عبد اللطيف ، ظواهر نحوية في الشعر الحر ، ٥٤
٢٦ الزمخشري ، الكشاف ، ٢٢٧/٤
٢٧ أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ، ١٨٤/٣
٢٨ الزمخشري ، الكشاف ، ٢٢٥/٤
٢٩ نفسه ، ٢٢٧/٤
٣٠ الزمخشري ، الكشاف ، ٤٢١/٢
٣١ نفسه ، ٣٣١/٣
٣٢ الرازي ، التفسير الكبير ، ٥٩/٢٠
٣٣ نفسه ، ٣٥/٢٦
٣٤ الزمخشري ، الكشاف ، ٦١٠/٣
٣٥ د . تمّام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ١٨/٢
٣٦ الزمخشري ، الكشاف ، ٦٠٠/٣
٣٧ الألوسى ، روح المعاني ، ١٢٦/٢٢
٣٨ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٤٩/٦
٣٩ أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ، ١٩٩/٣
٤٠ الرازي ، التفسير الكبير ، ٤٧/٢٩
٤١ الرازي ، التفسير الكبير ، ٨٠/٣٢
٤٢ نفسه ، ٣ /٢٨١
٤٣ نفسه ، ٣ /٥١٠

٤٤ الرازي ، التفسير الكبير ، ٢١ / ٢١٨
٤٥ الزمخشري ، الكشاف ، ٢ / ٣١٠ ـ٣١١
٤٦ نفسه ، ٣٤٦/٢
٤٧ الألوسى ، روح المعاني ، ٦٢/١١
٤٨ الزمخشري ، الكشاف ، ٣٨٢/٢
٤٩ الرازي ، التفسير الكبير ، ١٦٥/١٧
٥٠ الزمخشري ، الكشاف ، ٣٧٨/٢
٥١ نفسه ، ٣٦/٣
٥٢ الرازي ، التفسير الكبير ، ٣٤/٢١
٥٣ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٦٨/٥
٥٤ نفسه ، ٦٨/٥
٥٥ صفيّ الرحمن المباركفورى ، الرحيق المختوم ، ١٣٦
٥٦ الزمخشري ، الكشاف ، ١٠٦/٣
٥٧ نفسه ، ١١٠/٣
٥٨ الرازي ، التفسير الكبير ، ١٥٠/٢٤
٥٩ ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، ٢٠٣/٥
٦٠ عز الدين بن عبد السلام ، الإشارة إلى الإيجاز ، ٨٧
٦١ الزمخشري ، الكشاف ، ٣١٦/٤
٦٢ السيوطي ، الإتقان ، ٣٠٨/٢
٦٣ الزمخشري ، الكشاف ، ١٥٠/١
٦٤ الألوسي ، روح المعاني ، ٣١٧/١
٦٥ الزمخشري ، الكشاف ، ٦١٩/٤
٦٦ نفسه ، ٦١٩/٤
٦٧ الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٢٤/٢٤
٦٨ النسفي ، مدارك التنزيل ، ٩٨٤/٢
٦٩ الألوسي ، روح المعاني ، ١٠٣/١٦
٧٠ النسفي ، مدارك التنزيل ، ١٢٦٧/٢
٧١ الرازي ، التفسير الكبير ، ٤٢/١٩
٧٢ الزمخشري ، الكشاف ، ١٣٧/٣
٧٣ الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٢٩/٢٢
٧٤ الرازي ، التفسير الكبير ، ٤ / ٣٦
٧٥ الألوسي ، روح المعاني ، ٤ / ١٧
٧٦ نفسه ، ٧ / ٢١٨
٧٧ النووي ، رياض الصالحين ، رقم الحديث (١٢٨٣)
٧٨ الزمخشري ، الكشاف ، ١ / ١٢٩
٧٩ نفسه ، ١٢٩/١
٨٠ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سوم)
٨١ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٢٢/٣
٨٢ الزمخشري ، الكشاف ، ٣ / ٣٩٢
٨٣ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٦ /٥٤
٨٤ الزمخشري ، الكشاف ، ٥٩/٤
٨٥ الزمخشري ، الكشاف ، ٥٧٣/٢

٨٦ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٠٦
٨٧ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣٢٠/٤
٨٨ الرازي ، التفسير الكبير ، ٦٤/١١
٨٩ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢٥٨/٢

الفهرس

المقدمة

أولاً : دواعي إضافة الموصوف إلى الصفة :

أ) العدول عن التركيب الوصفي لتحقّق وقوع الصفة الموعود بها :

- الآخرة
- حقّ
- صدق

ب) العدول عن التركيب الوصفي لإحاطة الصفة بالموصوف بما يفيد تمكّن الصفة من الموصوف أو مجيء الموصوف منها أو تبعيّته لها أو دلالته عليها :

- الجوع
- الذّل
- سندس
- سوء
- ضِعف
- العرم
- العسرة
- نحس
- اليقين

ج) العدول عن التركيب الوصفي لحفظ الموصوف بالصفة

- حقّ
- خير
- صدق
- القدس
- القيّمة

د)العدول عن التركيب الوصفي مراعاة لحذف المضاف إليه الفاصل بين الصفة والموصوف :

- الغربي

ثانيًا : دواعي إضافة الصفة إلى الموصوف :

أ) العدول عن التركيب الوصفي لإظهار أن الغرض من الوصف بيان النوع :

- الحقّ
- سوء

ب) العدول عن التركيب الوصفي لإظهار حدوث الصفة أو انتهاء حدوثها :

- قصد

- يتامى

استخلاص

بيـان ما درس من تراكيب إضافية لها متشابه في مواضع أخرى أو قراءة أخرى
ثبت المراجع والمصادر

كلمة الغلاف :

هذا الكتاب يسأل لماذا يستخدم القرآن الكريم حينًا التركيب الإضافي (دار الآخرةِ) (مكر السيئ) ويستخدم حينًا التركيب الوصفي (الدار الآخرة) (المكر السيئ) ؟ أو لماذا يأتِ بتركيب (لسانَ صدقٍ) بدلًا من (لسانًا صادقًا) ؟ ولا تنكشف الإجابة إلا من خلال تحليل النص وتتبع جزئيات المضمون وصولًا إلى معنى المعنى الذي يرشح أسلوبًا دون الآخر.